مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

مسألة "الهويَّة والتحيُّز" لدى الشعراء الميزابيين الجزائريين 1985_2010مقاربةٌ على ضوءِ "فقهِ التحيُّز"

محمد بن أحمد جهلان
قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب واللغات. جامعة غرداية
djehlanem@yahoo.fr

ملخص-

مِن بينِ ما اقتَضَتهُ الحكمةُ الإلهيَّةُ أن يُولدَ الإنسانُ في ظروفٍ وبيئاتٍ لا يختارُها بنفسِهِ، فانتماؤُه إلى بيئةٍ ولغةٍ وجنسٍ وثقافةٍ... قضايا حتميَّةٌ ترسم مسار حياتِه وتؤثِّر في اختياراته وقناعاته، وقد يبدو من البَديهيِّ بمكان الحديثُ عن "**الهويَّة**" و"**الانتماء**" في ثقافاتٍ متجانسةٍ فصلت في شأن تَراتُبيَّة عناصر هويَّاتها، بينما لا تزالُ قضيَّة الهويَّة تستبدُّ إلى اليوم بالهمومِ النظريَّة والعمليَّة في أمَّتنا، ووطَنِنا بالخصوص، بل تحوَّل ذلك إلى جزءٍ لا يتجزَّأ من المشهد الوطنيِّ؛ السياسيِّ، والإعلاميِّ، والثقافيِّ المُحايث.

اخترنا لهذه الدراسة عيِّنة من شعراء منطقة (وادي ميزاب) بالجزائر، تتقاطع في داخلهم انتماءاتٌ متعدِّدة: إثنية ومذهبيَّة ولغويَّة وجغرافيَّة... شعراءُ نسمِّيهم . مُسايرةً لتوصيف «**أمين معلوف**» . بأنهم «**أشخاصٌ حدوديُّون**» نوعًا ما، شعراءُ . بحُكم وضعهم هذا بالذات . تحتَّم عليهم أن يُكرِّسوا شعرَهم لنَسجِ العلاقاتِ، وتذليلِ العقباتِ، ومدِّ الجسور بين الجماعاتِ والثقافاتِ، من أجلِ الوصولِ إلى "**هويَّةٍ جامعةٍ**".. هويَّةٍ يتقاطع فيها أكبرُ قدرٍ من القناعات والانتماءات.

لذلك حاولنا مُقاربةَ دوائرِ الانتماءاتِ المتداخلةِ لدى هؤلاء الشعراءِ؛ تلك الدوائرُ المشكِّلَةُ لعناصر هويَّتهم من خلال منظور "**فقه التحيُّز**"، ذلك المنظور الذي لا يَعتَبِرُ التحيُّزَ ظاهرةً سلبيَّةً ولا إيجابيَّةً، بل هو حَتميةٌ تؤكِّد بأنَّ عقلَ

المنارة للاستشارات

الإنسانمُبدعٌ وفعَّالٌ، وأنَّ دوافعَهُ مُركَّبةٌ معقَّدة، وهذا في الآنِ نفسِه دِفاعٌ عن مركزيَّة الإنسانِ ضدَّ الفلسفاتِ المادِّيةِ التي لا تَرضَى إلاَّ بوحدَة الطبيعةِ وَوَاحِدِيَّتِها.

كلمات مفتاحية:هوية، شعراء، وادي ميزاب، فقه التحيز.

The issue of "identity and partiality" among Mozabit Algerians Poets1985-2010
Approach in the light of "Jurisprudence of bias"

Summary-

One of the divine wisdom that man is born in conditions and environments that are not her own choosing, that belonging to an environment, a language, a gender, and a culture... are all inevitable issues that charts the route of his life and affect his choices and convictions, so still the issue of "**identity**"occupies today much space from the theoretical and practical anxiety in our nation, and our country in particular, even turned into an integral part of the current national political and cultural scene.

We opted a study sample of Algerian poets from (M'zab valley) (**Oued Mzab**), intersect them varied affiliations: ethnic, sectarian, linguistic and geographical. poets that - Keep up with **AMIN MAALOUF** characterization - that they are «**Frontier Persons**» somewhat, by virtue of their status this particularly makes them imperatively them to devote their poetry to weave relationships, overcome obstacles, and building bridges between communities and cultures, in order to access an inclusive identity, identity that intersect with the largest amount of convictions and affiliations.

So we tried to approach the overlapped affiliations to these poets through the "**jurisprudence of bias**" perspective, that perspective which is not considered bias a negative phenomenon nor positive, but it is inevitable stresses that the human mind is creative and effective, this is a defence of the human Centralization against physical philosophies Which does not be satisfied except with the unity of nature and its unitarily.

Keywords:identity, Poets, Oued Mzab, Jurisprudence of bias.

مقدمة-

تُعتبر مسألة الهويَّة من المسائل الحضاريَّة التي يُعاد طرحُها في كلِّ مرَّة تتعرَّض فيها الذات الإنسانيَّة للهزَّات والاختبارات بفعل الاحتكاك الدائم مع الآخر، وفي الوقت الذي تعصف فيه رياحُ العولمة العاتية بكلِّ الثقافات محاوِلةً اقتلاع، وتعديل، وإعادة تنظيم الساحة الكونيَّة، فإنَّ الهويَّة قد باتتمن أكثر مكوِّنات الثقافة تعرُّضا لهذه الرياح

المنارة للاستشارات

التي تتغيَّا صياغة أطُر جديدة تؤصِّل لفكر العولمةوتُسهِّل لمختلف مؤسَّساتها المتوحِّشة أن تبسط نفوذها بالقضاء على النماذج المعرفيَّة وفرض النموذج المعرفيِّ الغربي الماديِّ، حتَّى تصل إلى درجة التحكُّم في الأذواق وتنميط الرغبات والمشاعر، وربَّما حتَّى الطموحات والأحلام.

في ظلِّ هذه الأوضاع، قد يبدو طرحُ الإشكالِ من الناحية النقديَّة الأدبيَّة تبسيطاً فجًّا لمقولات الفكر واجتهادات الفلاسفة، ولكنَّنا في هذه الورقة سوف نحاول التركيز على مدارات الانتماء وأبعاد الهويَّة لدى مجموعة من الشعراء نظنُّ أنَّهم أكثر شعوراً بسطوة هذه الأسئلة المعرفيَّة العميقة: **من نحن؟ وما الذي يميِّزنا عن الآخر؟ثم من نقصد بالآخر: أهو المختلف في اللغة، أم في الدين، أم في المذهب، أم في الجغرافيا، أم في الأيديولوجيا؟وهل تظلُّهويَّتُنا واحدة رغم انتماءاتنا المختلفة...؟وهل تحيِّزنا إلى جزءٍ متفرِّد في هويَّتنا يعدُّ أمراً محموداً أم مذموماً؟**

الشعراء الذين سنعرض لنتاجهم الأدبي هم من الذين يصفهم أمين معلوف بأنهم «أشخاصٌ يحملون في داخلهم انتماءاتٍ تتصادم اليوم تصادماً عنيفاً، أشخاصٌ "**حدوديُّون**" نوعاً ما، تخترقُهم تصدُّعاتٍ إثنية ودينية أو غيرها. ويتحتَّم على هؤلاء الأشخاص، بحُكم وضعهم هذا بالذات. الذي لا أجرؤ أن أعتبره "مُميَّزا" أن يقوموا بنسج العلاقات، وتبديد سوء التفاهم، ومحاجَّة بعضهم، وتهدئة بعضهم الآخر، وتذليل العقبات، ورأب الصدع... وتقوم مهمَّتُهم على أن يكونوا حلقاتِ وصلٍ، وجسوراً ووسطاء بين الجماعات والثقافات المتنوِّعة. ولهذا السبب تحديداً، تبدو مُعضلتُهم مُثقلةً بالدلالات: فإذا كان هؤلاء الأشخاصُ أنفسُهم غير قادرين على الاضطلاع بانتماءاتهم المتعدِّدة، ومضطرِّين على الدوام إلى اختيار مُعسكرهم، ومُرغمين على العودة إلى صفوف عشيرتهم، يحقُّ لنا عندئذ أن نشعُرَ بالقلق حيَالَ سيرورة العالم»[1].

1 – أمين معلوف: «**الهويَّات القاتلة**»، تر/ نهلة بيضون، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، أوت 2015، ص: 15.

المنارة للاستشارات

ولكي أتجاوز. ولو إلى حين . هذا التقديم النظريَّ، أقول؛ إنَّنا بصدد دراسة مواقف مجموعةٍ من الشعراء الجزائريين ينتمون إلى فئةٍ إثنية أو عرقيَّةٍ هم «**الأمازيغ الميزابيُّون**»، وهذه دائرةٌ واحدةٌ من بين دوائر الانتماء العديدة التي تشكِّل هويَّة هؤلاء، والتي لا ندَّعي بأنها هويَّة ثابتة مكتملة وجامدة، فالثباتُ والجمودُ ليسا أبدًا صفتان من صفات الهويَّة الإنسانية. وهذا الكلام يقودُنا إلى البحث عن مفهوم «**الانتماء**»، ومدى تعدُّد صيغه في الأمَّة الواحدة والمجتمع الواحد بل وفي الأسرة الواحدة.

دوائر الانتماء ووحدة الهويَّة: عند الحديث عن «**الانتماء**»(Belonging) فإنَّ أوَّل ما يتبادر إلى الذهن إزاء هذا المصطلح هو بعدُه السياسي: أي الانتماء إلى الأوطان أو الدوائر السياسيَّة الأخرى، وهذا تصوُّر اختزاليٌّ غير دقيق؛ فعلى سبيل التمثيل فإنَّ الانتماء إلى الوطن باعتباره فكرةً مُجرَّدةً يُعرف «**بالوطنيَّة**»، أمَّا الانتماءُوالولاءُإلى نظام حُكمٍ أو اتجاهٍ سياسيٍّ معيَّن والإيمان بمبادئه فيدخل في حيِّز «**الأيديولوجيا**»... الانتماءُ إذًا لا يحمل بُعدًا واحدًا، بل أبعادًا تتَّسع دوائرُه وتضيق من شخص لآخر حتَّى في الأسرة الواحدة، ولنأخذ على سبيل المثال هذا النموذج:

شابٌّ، فلاَّحٌ، أسمرُ اللَّون، جنوبيٌّ، مصري، إفريقيٌّ، عربيٌّ، مُسلمٌ، مالكيُّ المذهب الفقهيِّ، رحيمي الطريقة الصوفيَّة، عدَّل أفكاره فغدا «نوري»التوجُّه الحزبي[1]، مُنحدر من القبيلة الفلانيَّة، مُنتمي إلى الجمعيَّة الفلاحيَّة العلانيَّة، من جماعة الأنصار الدائمين لفريق كرة قدم بعينه... كلُّ هذه انتماءاتٍيجسِّدها هذا الشابُّ في حياته بطريقةٍ اختياريَّة أو إجباريَّة؛ بحيث تُشكِّل هويَّته الخاصَّةوسواء أكان الانتماءُ بالاختيارِ أم بالإجبار فإنَّتلك الانتماءاتُتصنع هويَّته وتشكِّل شخصيَّته.

ولا تكتسب هذه الانتماءات – بدهيًّا – الأهميةَ عينَها، ولا في اللحظة نفسِها في مُطلق الأحوال، بل من الطبيعيِّ والفطريِّ أن «**يتحيَّز**» الإنسانُ إلى انتماءٍ أكثر من الآخر، وقد يُدافع عنه باستماتةٍ إذا تعرَّضت دائرةُ ذلك الانتماء للانتهاك أو العدوان،

1 – إشارة إلى «**حزب النور**»: حزب إسلامي "سلفي" تأسس في مصر أواخر مايو 2011، بعد زوال حكم حسني مبارك.

المنارة للاستشارات

ومع ذلك لا يغدو هذا الانتماءُ المهيمنُ هو الهويَّة بحدِّ ذاتها، كما لا يمكن لانتماءٍ بعينه مهما ضاقت دائرتُه أن يفتقر تماما إلى الأهمِّية. بهذه الحركيَّة التفاعليَّة تتشكَّل العناصر المؤسِّسة للشخصية والهويَّة، أو «**جينات الرُّوح**» كما يُفضل تسميتها أمين معلوف[1].

وبدهيٌّ القول بأنَّ **الانتماءات لا تتكافأ**؛ فبعضُ الانتماءات تُولد مع الإنسان ولا خيار له في استمرارها، وكالانتماء اللَّونيِّ، والعائليِّ، والوطنيِّ، واللغويِّ، والعرقيِّ، والجغرافيِّ... وبعضُها يكون للمرء خيارٌ في استمراره أو عدمه:كالانتماء الدينيِّ، والمذهبيِّ مثلا، وبعضُها يتخيَّره الإنسان و«**يتحيَّز**» إليه بعد تَمييزه واكتمالِ وَعيه: كالتوجُّه السياسيِّ والأيديولوجي والجمعويِّ والرياضيِّ، وما إليه.

المشكلةُ أذًا ليست في تعدُّد الانتماءات الضروريَّةوالاختياريَّة، وإنَّما تظهر المشكلة في الأزمات عندما يقع التعارُض بين هذه الانتماءات، وتفرِضُ جهةٌ ما هيمنة دائرةٍ على دوائر أخرى قد تتعارض مُنطلقاتُها أو غاياتُها أو مساراتُها... هنا تظهر «**أشكلة الهويَّة**»، وتضعُ الذاتُ نفسها أمام الأسئلة الكلِّية النهائية: **من أنا؟ وماذا أريد؟ وما هدف وجودي في هذا الكون؟ وما علاقتي بالآخر المهيمن...**

في مفهوم الهويَّة: نلاحظ أنَّنا كنا في كلِّ ما سبق نحوم حول مكوِّنات الهويَّة، من غير أن نقف على صياغة تعريفيَّة لهذا المصطلح (Identity). والحقيقة أنَّ وضع المصطلح في إطاره المعرفيِّ ليس بالأمر الهيِّن، لتعدُّد مداخله وجزئياته ومستوياته؛ فالهويَّة في اللغة تعني جوهر الشيء، وحقيقتَه، ويعرِّفها الجرجاني في كتابه التعريفات:«**هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب**»[2].فهويَّة الإنسان، أو هويَّة الثقافة، أو هويَّة الحضارة... هي جوهرُها وحقيقتُها، وما تُعرف بها ويميزها عن غيرها. وبالتالي فإنَّ هويَّة الشيء هي ثوابتُه التي تتجدَّد ولا تُستبدَل، كعلاقة جذع الشجرة

1 – أمين معلوف: «**الهويَّات القاتلة**»، ص: 21.

2 – الشريف الجرجاني: «**التعريفات**»،دار عالم الكتب، بيروت، لبنان،ط1، 1407 هـ/1987م، ص: 314.

المنارة للاستشارات

بأوراقها، تنجلّي وتُفصح عن ذاتها دون أن تُخلّي مكانا لنقيضها،طالما بقيت الذات على قيد الحياة[1].

وفي الحقيقة ليس في نيَّتي الخوضُ في التعريفات المختلفة المتباينة لمفهوم الهويَّة، بله الوصول إلى تحديد معناها من جديد، فهذه مسألة فلسفيَّة جوهريَّة منذ أن قال أرسطو مقولته المشهورة: «**اعرف نفسك بنفسك!**» وصولا إلى فرويد، مرورًا بفلاسفة كثيرين آخرين.. إنَّما المهمَّة التي أردتُ إنجازها فهي أكثر تواضعًا بكثير من تحديد أبعاد المصطلح ودلالاته، تقوم أساسًا على محاولة فهم كيفية حصول «**التحيُّز**» الطوعي إلى دائرة انتماءٍ بعينها ضمن الدوائر المكوِّنة للشخصية؟ ومتى يكون هذا «**التحيُّز**» من قبيل تقدير الخصوصيَّة والرؤية الشخصية للنفس والكون، ومتى يتحوَّل إلى تعصُّب مَقيت؟ نحن هنا بصدد الحفر للوصول إلى الحدِّ الفاصل بين التطلُّع المشروع للانتماء؛ إلى أيِّ دائرة من دوائر الاختيار (الدين، المذهب، الأيديولوجيا...)، وبين تحوُّل هذا الحقِّ إلى أداةٍ من أدوات الانغلاق والجمود، أو الهيمنة والسيطرة، بل ربَّما تحوله إلى أداةٍ من أدوات القتل والحرب؟ وهو ما عبَّر عنه القرآن الكريم «**بالحميَّة الجاهليَّة**» التي ذمَّ عليها الكفار ونهى عنها المؤمنين، فالحميَّة ممَّا يجعله المرءُ في قلبه بمحض اختياره وليست مما يُفطَرُ عليها (**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**) (الفتح: 26).

فقه التحيُّز[2]:الحديثُ عن الخصوصيَّة والانتماء وإشكالية الحدِّ الفاصل بينهما وبين التعصُّب المَقيت والحميَّة الجاهلية المذمومة، قاد بعض المفكرين إلى دراسة قضيَّة التحيُّز في المنهج والمصطلح، بعد أن شعر هؤلاء بأنَّ الإنسان ينشأ في بيئة حضاريَّة وثقافيَّة

1 – محمد عمارة: «**مخاطر العولمة على الهويَّة الثقافية**»، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1999م.

2) – تعمدت منذ بداية البحث وضع هذا اللفظ (التحيُّز) بين مزدوجين، تأكيدا على المعنى غير المباشر للفظ، وباعتباره مصطلحا يقوم عليه اجتهاد علمي قوي هو «فقه التحيُّز»، وهو ما سيتم شرحه في الفقرات التالية.

المنارة للاستشارات

لها نماذجها الحضاريَّة والمعرفيَّة المختلفة، يجد نماذج حضارية تحاول أن تفرض نفسها على مجتمعه وعلى وجدانه وفكره، فكثيرٌ من المجتمعات خاصَّة شعوب العالم الثالث بدأت تتخلَّى عن "**تحيُّزاتها**" النابعة من واقعها التاريخي والإنساني والوجودي، وبدأت تتبنَّى "**تحيُّزات الآخر**" بما في ذلك **تحيُّزاته ضدَّها**... وكانت نتيجةُ هذه الجهود الوصولُ إلى ما يقترب من النظرية العلميَّة أسماها أصحابها «**فقه التحيُّز**»، فما المقصود بهذا المصطلح؟

يدور معنى **التحيُّز** في اللغة في حقلٍ دلالي يضمُّ معاني «**الانضمام والموافقة في الرأي**»، فقد ورد اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى: **(إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ)** (الأنفال: 16). ويُستعمل اللفظ في الاصطلاح السياسي الحديث بقولهم: (عدمُ الانحياز)؛ بمعنى عدم الانضمام إلى فريق من الدول دون فريق. وقد أقام علماء «**المعهد العالمي للفكر الإسلامي**» وعلى رأسهم الدكتور **عبد الوهاب المسيري** رائد «**فقه التحيُّز**» اجتهادهم المعرفي على جملة من المقدِّمات، التي تؤسِّس منطلقاتِه، وتحدِّد معالمَه، ومن جملتها:

منطلقات فقه التحيُّز:

- **أنَّ التحيُّز حتميٌّ مرتبطٌ بإنسانيَّة الإنسان**، فكلَّ فعلٍ إنسانيٍّ له بعدٌ ثقافيٌّ، مهما بَدَا صغيرًا أو بسيطا، ويمكن تجريدُ التحيُّز من سلبيَّته بأن نكتشف معانيه الإيجابيَّة، وإنَّ إدراك حتميَّة التحيُّز هي أوَّل خطوة لتجاوُزه[1].
- **أنَّ التحيُّز مرتبطٌ ببنية عقل الإنسان ذاتها**، العقل الذي لا يسجِّل تفاصيل الواقع كالآلة الصمَّاء، بدون اختيار أو إبداع، فكلُّ عقلٍ يُدرك الواقع من خلال النماذج المعرفيَّة التي تَشَكَّل عليها، فيستبعدُ بعض التفاصيل ويُبقي بعضها الآخر، ويُضخِّم ما تبقَّى ويمنحه مركزيَّة، ويضع غيره في الهامش[2].

1)– ينظر سوزان حرفي (تحرير): «**حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري (1): الثقافة والمنهج**»، دار الفكر دمشق، سوريا، ط3، 1433هـ/ 2012م، ص: 327

2) – نفسه، ص: 19

المنارة للاستشارات

- والقاعدة الثالثة هي **أنَّ التحيُّز لصيق باللغة الإنسانية نفسها**، فكلُّ لغة مرتبطةٌ إلى حدٍّ كبير ببيئتها الحضاريَّة وأكثر كفاءةً في التعبير عن هذه البيئة، ولأنَّ اللغة الإنسانيَّة ليست أداةً محايدة مثل لغة الجبر والهندسة فإنَّ ذلك ما يُظهر التحيُّز في اختيار الإنسانِ اللغويِّ.
- إنَّ التحيُّز وفق هذه المقدِّمات «**من صميم المعطى الإنساني، ومرتبط بإنسانية الإنسان**، أي بوجوده ككائن غير طبيعيٍّ، لا يُردُّ إلى قوانين الطبيعة العامَّة ولا ينصاع لها. فكلُّ ما هو إنسانيٌّ يحوي على قدر من التفرُّد والذاتية ومن ثَمَّ التحيُّز»[1].
- **أنَّ التحيُّز في حدِّ ذاته إيجابيٌّ**، ذلك «أنَّ التحيُّز هو حتمية التفرُّد والاختيار الإنسانيِّ»[2] ولقد خلق الله البشر كلهم على فطرة واحدة، ولكن مشيئته تعالى اقتضت أن لا نكون شعبًا واحدًا، بل شعوبا وقبائل مختلفة، تنظمنا سنَّتي «**التعارف**» و«**التدافع**»(**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**ۚ) (الحجرات: 13)، (**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ**) (البقرة: 251).
- **أن اعتبار التحيُّز أمرًا حتميًّا إيجابيا في الأساس، يعني أنه ليس نهائيا ولا ثابتا**؛ «حتميٌّ فلا يمكن تجاوُزه، وليس نهائيا لأنه ليس نهاية المطاف، فالنهائي هو الإنسانية المشتركة (والقيم الأخلاقية) التي تسبق أيَّ تحيُّز.
- **بعض التحيُّزات ترسمها الأسئلة النهائية** و«"الرؤية الكلية" (Outlook) إلى «الخالق» و«الكون» و«الإنسان» و«الحياة»، فتُعرف عند (توماس كوهن) (1922/1996)، بـ«**النموذج الكلِّي**» ضمن النماذج المعرفيَّة، وبعض هذه النماذج المعرفيَّة يعود إلى رؤى مصغَّرة ومحدَّدة، عرَّفها بـ«**النماذج الجزئيَّة**»، فالتوحيد لدى المسلمين. مثلا. يعود إلى النموذج الأوَّل، أمَّا الاختلافات المذهبيَّة الفقهيَّة أو الآراء السياسيَّة والاقتصاديَّة، فمردُّها إلى النموذج الثاني أي الجزئي[3].

---

1) - نفسه، ص: 20

2) - نفسه، ص: 20، 21

3)– طه جابر العلواني، تصدير كتاب «**إشكالية التحيُّز، رؤية معرفية ومحاولة للاجتهاد**»، ج1، ص: ن.

المنارة للاستشارات

أنواع التحيُّز ودرجاته:

أ- **من ناحية المبدأ، هناك:**

1- **التحيُّز لما يراه الإنسان بأنه الحقُّ**؛ وهو ما نسميه "الالتزام". والإنسان المتحيِّز للحقيقة يمكنه أن يتحمَّس لها وينفعل، ولكنَّه على استعدادٍ أن يُخضع ذاته وأحكامه للمساءلة الدائمة، وهو لا يعتقد أن أحكامه (المتحيِّزة) هي الحكم النهائي المطلق بل هي في الأساس اجتهادٌ بشريٌّ.

2- **التحيُّز للباطل**؛ ويتَّخذ أشكالا متعدِّدة: **كالتحيُّز للذَّات** بأن يجعل الإنسان ذاته هي المرجعية الوحيدة المقبولة. وهناك **التحيُّز للقوَّة والتحيُّز للسلطان** بحيث يصبح السلطان هو المرجعيَّة وما يقوله هو الحقُّ رغم إدراك المتحيِّز بأنه ليس كذلك. وفي كلِّ الحالات فإنَّ من يتحيَّز للباطل ليس على استعدادٍ أن يُخضع ذاته ولا أحكامه للمساءلة، كما أنَّ أحكامه نهائيَّة مطلقة غير قابلة للاجتهاد والاستئناف.

ب- **ومن ناحية الوضوح: هناك**

1- **التحيُّز الواعي «الواضح»**: كالتحيُّز لمنظومة فكريَّة أو عقديَّة أو أيديولوجيا بعينها، والاقتناع بمنطلقاتها وأفكارها والنظر إلى العالم من خلالها.

2- **التحيُّز غير الواعي «الكامن»**: وهو استبطانُ منظومةٍ معرفيَّة والنظر للعالم من خلالها بدون وعي، وهو ما تستهدفُه الإعلاناتُ التجاريَّة عادة؛ فأفلام "هوليود" على سبيل المثال تروِّج لكثير من القيم دون أن يُدرك المتلقِّي أنه يُلقَّن من خلالها كثيراً من القيم التي تتحيَّز لها هذه الجهة الإعلامية [1].

ت- **ومن ناحية الحدَّة: هناك**

1)- المسيري، «**إشكالية التحيُّز**»، ص: 22، 23

المنارة للاستشارات

1- **التحيُّز الحادُّ الواضح**: وعادةً ما يكون جليا وحادًّا في ميادين العقائد والأيديولوجيات والتقاليد والعلاقات الإنسانية، والآداب، والفكر، والثقافة، وكلُّ ما يرتبط بالهويَّة الثقافية والحضاريَّة للجماعة.

2- **التحيُّز الأقلُّ حدَّة**: يكون في العلوم البحتة: كالتكنولوجيا والفيزياء والرياضيات، فعادة ما تكون درجة تعرُّضها للتحيُّز أقد حدَّة، رغم أنها لا تخلو منه تماما.

3- **التحيُّز داخل التحيُّز**: وهو تبنِّي المرء رؤية محدَّدة من داخل نموذج معرفي متكامل، فيختار جزئية من هذا النموذج المعرفي من غير أن يكون له إلمامٌ بكلِّ المنظومة التي أنتجت ذلك النموذج.

4- **التحيُّز التلفيقيُّ المتناقض**: وهو تبنِّي عددٍ من الأفكار تنتمي إلى أن أنساقٍ معرفيَّة مختلفة متناقضة دون إدراك، فيمكن لكاتب أن يُعجب بالرؤية الدينية الإسلامية والهندوسية والكونفوشيوسية باعتبارها كلُّها رؤى روحانية شرقية.

5- **التحيُّز الجزئي والتحيُّز الكلي**: «ويمكننا القول إنَّ النوع الجزئي من التحيُّز هو تحيُّز الشخص الواثق من نفسه ذي الهويَّة الواضحة (...) وله تحيُّزاته المحدَّدة، ثم ينظر إلى العالم ويأخذ منه ما يريد (...) فهو مجتهد في إطار النسق المفتوح أو الفضفاض لا النسق المغلق المُصمت، ويستند إلى أرضية الذات العقائدية والفكرية والحضارية، ولا يستسلم إلى ما سماه أحد العلماء الغربيين: «**إمبريالية المقولات**»، أي أن تستورد من الآخر لا بعض آرائه وإسهاماته وإبداعاته وحسب، وإنَّما مقولاته التحليلية الأساسية ورؤيته للكون، فتزن الأمور بميزان الآخر»[1]، وهذا هو التحيُّز الكلّي.

6- **التحيُّز الأيديولوجي والتحيُّز المعرفي**: التحيُّز الأيديولوجي تحيُّزٌ استعلائيٌّ وتقديسيٌّ يدَّعي دوما الاكتفاء النظري وامتلاك الحقيقة المطلقة، أمَّا التحيُّز

1)–نفسه، ص: 25

المنارة للاستشارات

المعرفي فهو تحيُّز الذات المتسائلة التي تناقش قناعاتها بصفة دائمة ولا تركن إلاَّ لما يستطيع الإجابة الدائمة عن الأسئلة المطروحة والتساؤلات المستجِدَّة.

7- **التحيُّز ضدَّ الذات:** وهو أغربُ أنواع التحيُّز الذي لا مثيل له في الحضارات السابقة؛ وهو «تحيُّزنا إلى الواقع المادِّي الذي يقف ضدَّنا»، كتحيُّزنا إلى نموذج في البناء لا يتلاءم مع بيئتنا الصحراوية، ما يفرض علينا استخدام المكيفات صيفاً وشتاءً،... كما أنَّ رفضَنا لأيِّ مصطلح عربي جديد إذا تعذرت ترجمته إلى اللغات الأوروبية يُعتبر تحيُّزا ضد الذَّات كذلك، وتضييقاً للأفق الفكري واللغوي بحبسه على أفق الغير[1].

وكخلاصة لما سبق نؤكد على ضرورة تصحيح تصوُّرنا تجاه مفهوم «**التحيُّز**» فليس كلُّ تحيُّزٍ مذموماً، وأنَّ السعي لإلغاء التحيُّز وإنكارِ حدوثه هو وقوعٌ في تحيُّز من نوع مُحدَّد إلى رؤية مُحدَّدة.

عيِّنة الدراسة، وطبيعة المدوَّنة:

لتتبُّع أشكلة الهويَّة لدى شعراء ميزاب ودوائر الانتماء لديهم فإنَّنا اخترنا عيِّنة من شعراء المنطقة ووضعنا نصوصهم الشعريَّة تحت مجهر البحث لاستكشاف تحيُّزاتهم المعرفيَّة. وقد تمَّ اختيار هؤلاء الشعراء وفق منطلقين اثنين؛ أوَّلهما تعدُّد دوائر الانتماء لدى كلِّ واحد منهم بحيث تتداخل في تشكُّل هويَّاتهم وتصطرع في كثير من الأحيان لتُحتِّم عليهم اختيارات قد تكون مؤلمة (في اللغة، والمذهب، وغيرهما). والمنطلق الثاني هو التطوُّر الزمنيُّ بحيث تغطِّي العيِّنة ثلاثة أجيال من الشعراء تمتدُّ على فترة الدراسة كلها، يمثِّل الجيل الأوَّل أولئك الذين عاشوا فترات قبل الثورة، وأبدعوا قبل الثورة وبعدها، فمنهم من توفي ومنهم من هم في أواخر السبعين من العمر الآن، ويمكننا تجوُّزاً تسمية هذا الجيل «**بالجيل القديم**» أو «**الرواد**»، واخترنا منهم الشعراء: **صالح خريف، وصالح باجو، ومحمَّد صالح ناصر**. أمَّا الجيل الثاني فيمثل «**الجيل المخضرم**» الذي أدرك الثورة ولكن إبداعه كان بعدها أساساً وما يزال يُبدع إلى اليوم، واخترنا كعيِّنة منهم

1)– حرفي، «**حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري(1) (الثقافة والمنهج)**»، ص: 355

المنارة للاستشارات

عمر هيبة وسليمان دوّاق، والجيل الثالث يمكننا تسميتُه «**بالجيل الجديد**» ويمثل جيل الاستقلال والحداثة، واخترنا نموذجا عنهم الشاعر **مسعود خرازي**. بهذه الاختيار المنهجي نكون غطّينا . زمنيًّا . فترة الدراسة الممتدَّة من سنة 1985 إلى سنة 2015، ونكون حاولنا . مكانيًّا . تغطية أكبر عدد من مدن وادي ميزاب: القرارة، وغرداية، ومليكة، وبنورة، وبني يزجن[1].

تطلَّبت دراسة الموضوع التنقيب في مدونة تضمُّ عشرة دواوين شعرية نُشرت في الفترة الممتدة بين: 1987م و2010م، وهي فترة تناهز ربع قرن، فترة غنيَّة بالأحداث والتطوُّرات، إن على المستوى المحلي الميزابي، وإن على المستوى الوطني والعربي الإسلامي والعالمي، وَسَمَت هذه الفترة بسِمَة مميَّزة وعلامة فارقة، كان أولها سقوط «**المعسكر الشرقي**» وهيمنة النموذج الغربي الرأسمالي سياسيا وعسكريا وثقافيا... في أواخر الثمانينيات وانتهاء بتأثُّر البنية الاجتماعيَّة واللُّحمة الوطنيَّة بالتطوُّرات الداخليَّة والخارجيَّة، وظهور توجُّهات سياسية مختلفة ونزاعات قبليَّة وصراعات طائفية في عدَّة مناطق بالجزائر شمالا وجنوبا، وظهور أخطر فتنة عرفها الجنوب الجزائري وهي «**فتنة غرداية**» والتي اشتعلت نيرانها من سنة 2013 إلى 2015م.

لقد كان لمجموع التطوُّرات في المكان، والمتسارعة في الزمان، أثرًا في تشكّل دوائر اهتمام هؤلاء الشعراء، وأبدوا فيها آراءهم ومواقفهم وتحيُّزاتهم، وهذا يقودنا إلى التساؤل: عن تشكُّلات الهويَّة وتراتبية دوائر الانتماء لدى هؤلاء الشعراء؟ وكيف كانت

1)– لأسباب منهجية متعلقة بضوابط النشر والإخراج تعذَّر علينا إيراد شواهد لجميع الشعراء في كل دائرة من دوائر الانتماء أو لكل مظهر من مظاهر التحيُّز، فركزنا على إيراد شواهد لأكثرهم إبداعا شعريا وأمثلهم في التغطية الزمنية لفترة الدراسة ألا وهو الشاعر محمد صالح ناصر (إذ هو من مواليد 1938م، وصدر له في فترة الدراسة وحدها خمسة دواوين شعرية: "**في رحاب الله**"، "**ألحان وأشجان**"، "**الخافق الصادق**"، "**البراعم الندية**"، "**الأعمال الكاملة**")، ومع ذلك حاولنا إحالة القارئ في كلِّ مظهر من مظاهر التحيُّز إلى دواوين باقي شعراء المدونة، لتتشكل لديه الصورة الكلية للموضوع.

المنارة للاستشارات

تحيُّزاتهم المعرفيَّة الكلِّية والجزئية بشأنها[1]؟

أولا: التحيُّز للحق ورجاله: يمثِّل التحيُّز للحقِّ أسمى أنواع التحيُّز وأوثقها صلة بمسألة الاختيار الإنساني، فإذا كان الاعتدادُ بالانتماءات الطبيعية (الجنس اللون والوطن...) داخلا ضمن التحيُّزات غير الاختياريَّة، فإنَّ التحيُّز للحقِّ لا يكون إلاَّ من خلال موقفٍ واختيار وقناعةٍ قد تكون في كثير من الأحيان سباحةً ضدَّ التيار، فالقول المأثور: «**قل الحقَّ وإن كان مرًّا**»[2] يقتضي الإيمان بالحقِّ والاقتناع به ثم التصريح بهذا الاقتناع والرأي حتى وإن جرَّ متاعباً على صاحبه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾(المائدة: ٥٤)، وعلى أساس التحيُّز للحق يكون الولاءُ والحبُّ للأشخاص، فالحقُّ يعلو على مراتب السياسة أو الحكم، أو الجاه أو المال، أو قرابة النسب. التحيُّز للحقِّ هو ما يمكن تسميته أدبيًّا بالالتزام (Commitment)، بينما نجد تسمية أدقّ وأقرب إلى محيطنا المعرفيِّ العربيِّ الإسلاميِّ وهي «**الإخلاص**»؛ فالإخلاصُ تحيُّزٌ إلى نموذجٍ معرفيٍّ كليٍّ عالميٍّ كونيٍّ حضاريٍّ؛ ذلك أنَّ المرء المسلم يردُّ بمقتضاه كلَّ قول أو فعل، وكلَّ حركة أو سكون، إلى غاية مرجعية نهائية هي «**رضوان الله تعالى**»، فما كان في سبيله قولا أو فعلا، أو شخصًا بعينه، أو فكرةً متناسقةً ومَبدَأَهُ.. قَبِلَهُ وأيَّده، ونافح عنه، ودعا إليه، بغضِّ النظر عن تقاطع دوائر الانتماء الأخرى أو تنافرها، أمَّا ما كان ضدَّ هذه الغاية السامية فإنه يرفضه وينكره، ويُندِّد به ويدعو إلى تغييره.

نظم محمد ناصر – لَمَّا كان مقيما بإحدى دول الخليج العربي – قصيدة

1)– اقتصرنا في دراسة دوائر الانتماء على الدوائر الاختيارية المؤثرة في تشكيل الهويَّة: كالعقيدة واللسان والوطنية، ومفهوم الحق، وتجاوزنا تلك المتعلقة بالمكونات الطبيعية الفطرية: كالجنس واللون والأسرة والقبيلة، وغيرها.

2)– وردت المقولة في حديث نبوي (ضعَّفه بعض أهل الحديث)، رواه الإمام أحد في مسنده عن أبي ذر قال: «**أمرني خليلي ح بسبع:(...) وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرًّا...**». أحمد بن حنبل: «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج5، ص 159. (رقم الحديث: 21453).

المنارة للاستشارات

بعنوان «**اللّحى الذليلة**» عاذلا أولئك الشيوخ المتسلّقين، المتخاذلين أمام السلطة الدنيويَّة، المتزلّفين إلى الحكّام والأولياء والأثرياء، باستغلال مظاهر التديُّن كاللباس واللحية وغيرها:

الحبُّ حبُّ الأولياء، وليس حبًّا ... للوُلاة، لنيلِ جاهٍ أو وسيلة
الحبُّ لله العظيم يذوبُ في ... أحنائه حبُّ العمومةِ والخؤولة
لا درَّ دَرُّ العلم إن أضحى رُكوعا ... عند أعتابِ الخليفةِ والقبيلة
(...) فبهارجٌ هذي المراتبُ كلُّها ... زيفٌ وتدجيلٌ وألقابٌ دخيلة
فاربأ بعلمك أن تكون لنابحٍ ... ذيلاً، وأن تضحى لزَيتِهِمُ فتيلة[1]

كما أنَّ التحيُّز للحقِّ هو الذي حدا بالشاعر باجو صالح أن يُعلن موقفه الصريح في تأييده لإمام عُمان غالب الهنائي[2] عندما زار الجزائر، وكان الإمام غالب ثائرًا معارضًا لسلطان مسقط العُماني سعيد بن تيمور، وفي نزاع مسلَّح ضدَّ القوات الإنجليزية في ما يعرف بثورة «**الجبل الأخضر**» في عُمان، رغم أنَّ موقف الشاعر في هذه القضية وتحيُّزه سيجرُّ عليه المتاعب، ولكنَّ الحق أعلى وأحقُّ أن يُتَّبع، فممَّا قاله في قصيدته:

(...) وسَبقتم إلى الفدا لتردُّوا ... لعُمان السليب مجدًا مَشِيدَا
طَهِّرُوا أرضَهُ من الرِّجس حتَّى ... تُخرِجُوا الأجنبيَّ منه طَرِيدَا
طَهِّرُوا "مَسقَطَ" الأبيَّ أَطِيحُوا ... رَغمَ أنفِ الإنكلِيزِ منه "سعيدَا"
لَقِّنُوهمُ أنَّ الرُّكُونَ إلى الكُفـ ... ـرِ حَرامٌ، لَحَى الإلهُ الكَنُودَا[3]

ومن أبرز مظاهر التحيُّز إلى رجال الحقِّ في الجزائر نجد تحيُّز أغلب شعراء

1)– محمد بن صالح ناصر، «**الخافق الصادق**»، نشر دار الريام، المحمدية، الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م، ص: 22، 23.

2)–غالب بن علي بن هلال الهُنائي: ولد عام 1912م، آخر إمام عُماني منتخب. وباجتياح القوات البريطانية عمان الداخلية اندلعت حرب عنيفة معها في صيف عام 1957م عرفت «**بثورة الجبل الأخضر**»، انتهت بخروج الإمام وشقيقه «طالب» وكثير من أنصاره إلى خارج عُمان، إلا أنَّ العمليات استمرت حتى بداية السبعينات. توفي الإمام يوم 29نوفمبر 2009م.

3)–باجو: «**لبيك يا وطني**»، ص:110

المنارة للاستشارات

المنطقة إلى أعلام الحركة الإصلاحية في الجزائر، والتي حملت الأجيال رايتها من بعد جيل مُؤسِّسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين، فسجَّلنا في دواوين شعراء العيِّنة المدروسة حضورًا قويًّا لا يكاد يُنافس لرجال الجمعية، ولهذا الحضور دلالةٌ قويَّة على الاختيار الواعي لجزء مُهمٍّ مشكِّل للهويَّة الحضاريَّة الأصيلة للجزائريِّين، والوقوف بجانب أهل الحقِّ حتى وإن اختلف الشعراءُ معهم في دوائر انتماء أخرى كاللغة الأم والمذهب... يقول محمَّد ناصر في قصيدةٍ مُعليةٍ من شأن أولئك الرجال، ألقاها بمناسبة الاحتفال بالذكرى الستين لتأسيس جمعية العلماء:

(...)كيف لا يخشعُ الزمانُ لركبٍ رادهُ للهدى «بَادِيس» مِثَالا
أوقفوا الدهرَ للإمام اعتزازًا واذكروه تمثُّلا لا اختيالا
(...) موكب العلم من جلالك قرَّ أرضًا فلم يَرِفَّ خيالا
كيف أزجيه في احتفال وفيه "الـ عيدُ" يلقيه فطرةً وارتجالا
(...) كيف ألقيه "والبشيرُ" عميدٌ فيه يرويه سلسلا يتوالى
(...) فيه «بيُّوضُ» في يديه كتابُ الله، يتلُوه منهجًا وابتهالا
(...) وأخوه "اليقظانُ" هزَّ يراعًا جابريًّا، في الحقِّ صال وجالا
(...) فيه "للطيِّب" الفصيح مجالٌ أحمديُّ الرؤى هوىً وخيالا
(...) فيه للعالِم «المُبَارَكِ» سِفرٌ فضح الشركَ فكرةً ورجالا
(...) فيه للحافظ «التبسِّي» جهادٌ لم يزَل في دُنَى الجهاد مثالا
(...) و«الأمينُ» اليراعُ للرَّكب إن خطَّ شدَّ الرقابَ سِحرًا حلالا
(...) موكبُ العلم في حماهُ تربَّت ثورةُ النَّصر واصْطَفَتْ أشبالا[1]

أمَّا صالح خرفي فقد خلَّد في حقِّ رجال الحقِّ من مؤسِّسي جمعية العلماء وأنصارِها قصيدته التي سماها «**شُهداءُ الخلود**»، وأظهر فيها تحيُّزًا واضحًا إلى قيمٍ حَمَلَها هؤلاء الرجالُ على رأسها: الإسلام والعروبة، فنجده يقول:

حَيِّ "سِرْتا" وحيِّ "باديس" فيها باعثَ الشَّعبِ: ثائرًا هَزَّ كَونا
عرَبيًّا، ومُسلِمًا، مَنْ يُبَيِّتْ غَير هَنِينٍ، جرَّ سَحْقًا وَلَعنَا
شيخيَ "العيدُ" و"البشيرُ" و"بيُّوضُ" وَشَيخٌ، رَعى الصَّحافة فَنَّا

1)– ناصر: «**الأعمال الشعرية الكاملة**»، ص:274.277.

المنارة للاستشارات

وشُيوخٌ رَعَت يدُ الله فِيهم صَحْوَةَ الفكرِ والشَّبابَ المسنَّا[1]

ولا نجد شعراء جيل الاستقلال يحيدون عن هذا المنزع والتحيُّز إلى رجال الحقِّ في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يقول **مسعود خرَّازي** في قصيدة بعنوان «**وطني**» ألقاها سنة 1992:

(...) و"ابن باديس" بنور الله نادى مُسلمٌ شعبي، يقينًا لا ارتِبَاكَا
و"بشيرٌ" كلَّما عانق حرفًا تكبُر الأحلامُ في حَجْمٍ سَمَاكَا
واسأَلِ الصَّحراءَ عن "بيُّوضَ" فيها قَاوَمَ التَّقسِيم صَوْنًا لِحِمَاكَ
واسأَلِ الضَّادَ هُنَا كَيفَ تآخَت مَع أمازيغَ فَذَابَا فِي هَوَاكَ[2]

ومن بين مظاهر التحيُّز إلى الحقِّ ورجاله نجد الوقفة الصريحة الصادعة بالحقِّ إلى جنب الدكتور علي بن محمد وزير التربية والتعليم الأسبق في الجزائر[3] وتنديدًا بكلِّ من يعبث بقيم الشعب الجزائريِّ العربيِّ المسلم، وتأييدًا لندائه من أجل «**إنشاء مدرسة جزائريَّة أصيلة متفتِّحة**»، يقول محمَّد ناصر:

عَلَوتَ "عَلِيًّا"، ولم أعْجَبِ فَمَنْ كان للهِ لَم يُغْلَبِ
نِداؤُكَ صرخةُ حُرٍّ أَبيٍّ وصوتُك - بالحقِ- صوتُ النَّبي

1)–صالح خرفي «**من أعماق الصحراء**»، (د د ن)، أشرفت على طبعه وإخراجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، نوفمبر 1991، ص:78.

2)– مسعود بن بالحاج خرازي: «**متى الصبح يا وطني**»، (د د ن)، طبع المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط1، 2006م ص:13، 14.

3)–الدكتور علي بن محمد: من مواليد ولاية المسيلة سنة 1943، بدأ مشواره المهني في التدريس منذ سنة 1966 بعدة ثانويات، ليتقلد بعدها مناصب في وزارة التربية، إلى أن عُين وزيرًا للتربية سنة 1990، واستقال من هذا المنصب على إثر مكيدة تسريب مواضيع امتحانات البكالوريا سنة 1992، عين سفيرا في القاهرة من سنة 1992 إلى 1994. ليطلب التقاعد ويتفرغ للكتابة والتأليف إلى اليوم. له عدَّة مؤلفات أكاديمية وتعليمية وسياسية واجتماعية.

المنارة للاستشارات

تدفَّقَ كالآيِ يُحيي النفوسَ ومَن للبيانِ سوَى العَرَبِ؟

(...) وهذي يدِي، يا عليٌّ، أُبا يعْكَ جَهْرًا، ونصرًا بلا مَأْرِب

فذلك وجهي، وخفقَةُ قلبي وَضَمَّة أمِّي، وعهدُ أبي[1]

ولعلَّ أوضح مظهرٍ من مظاهر التحيُّز للحقِّ ورجاله هو تحيُّز شعراء ميزاب إلى الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيُّوض (و:1899/ت:1981)، المصلح المربِّي المجاهد والسياسي المحنَّك، فكان الشيخ بيُّوض حاضرًا بقوة في جميع الدواوين العشرة ضمن المدونة المدروسة، ويبدو التحيُّز بنوعيه "**الكلي**" و"**الجزئي**" في قصائد الشعراء على اختلاف توجُّهاتهم ومشاربهم وإعمارهم، كما يختلف تحيُّزهم "**حدَّة**" و"**لينًا**" بحسب المثيرات والاستفزازات التي تتعرَّض لهم ذواتهم بشأن هذه الشخصية[2].

فهذا الشاعر محمد ناصر يقول في الذكرى الخامسة لوفاة الشيخ بيُّوض:

المجدُ أنتَ مُجاهدًا ومُوَسَّدًا، والحُبُّ أنتَ غِناؤُهُ وبُكاءُ

في كُلِّ قلبٍ خَفْقَةٌ لك تَفْتَدِي ذكراكَ، إنَّا للفِدَا نُصَراءُ

الشَّمسُ أنتَ مُعلِّمًا ومُفَسِّرًا، لك في القُلوبِ مَحبَّةٌ ودُعاءُ

والسَّيفُ أنتَ إذا اعْتدَى خَصْمٌ مَضَيْتَ إلى الجِهادِ بِجَانبَيْك

والبحْرُ أنتَ سياسَةً، كالموجِ آونَةً، وأخْرَى في السُّكونِ سمَاءُ

وإذا الزَّعانفُ أرجَفُوا، فالبحرُ هَوْلٌ في اللقاءِ، وفي السماءِ علاءُ

1)– ناصر، «**الخافق الصادق**»، ص:40، 41.

2)– ينظر على سبيل المثال، خريف، «من أعماق الصحراء»، قصيدة «**معهد الحياة**»، ص:26، وقصيدة «**الراحل العائد**»، ص:157، وينظر هيبة: «قلب وحجر»، قصيدة «**الامتحان**»، ص: 22، وينظر باجو: «لبيك يا وطني»: قصيدة «**ارجعي إلى كتاب الله يا أمَّة الوحي**»، ص83، وقصيدة «**صرخة في وجه الاستعمار**»، ص: 18، ويُنظر خرازي: «متى الصبح يا وطني»: قصيدة: «**وطني**»، ص: 12، وقصيدة «**حبٌّ بلا بطاقة**» ص: 55

المنارة للاستشارات

البلبلُ الصدَّاح أنت، وشانئٌ لك "كالغُراب" فِعَالُه سوداءُ[1]

نلاحظ كيف صنعت جمالية التقديم والتأخير في الأبيات . والذي يفيد التخصيص والقصر فارقا واضحا في ترسيخ المعنى وتأكيد الولاء والتحيُّز؛ «**المجدُ أنتَ**»، و«**الحبُّ أنتَ**»، و«**الشمسُ أنتَ**»، و«**السيفُ أنتَ**»، و«**البحرُ أنتَ**»، و«**البُلبُلُ الصدَّاحُ أنتَ**».. كلُّها أوصاف تؤكِّد حدَّة التحيُّز إلى قيمٍ وأخلاقٍ نبيلةٍ جسَّدها الشيخ بيُّوض في حياته، وغرسها في طلبته ومريديه. ولمَّا تعرَّض الشاعر للتضييق والتهديد والشتم والوعيد بسبب وقوفه بجانب الشيخ بيُّوض ولقوله كلمة الحق دفاعًا عن شيخه ضدَّ من حاول تشويه صورته والانتقاصَ من مكانته من بعض أصحاب الرُّتب والنجوم العسكرية ورجال السلطة، وجدنا أنَّ الشاعر ظلَّ ثابتا في موقفه تجاه الحقِّ، مقتنعًا بقوَّة حجَّته، مستمدًّا النصر والتأييد من الله القوي العزيز، صاحب الحقِّ النهائي المطلق، فقال في قصيدة «**الدامغة**»:

هدِّد "بنَجْمِك" إنَّ لي بالحقِّ شمسًا ... تملأُ الآفاقَ نورًا سائدَا
وأَثِر نزاعاتِ العشائر إنَّ لي ... في مُحكَم التنزيل نهجًا قاصدَا
إنَّ الكريمَ هو التقيُّ وليس في ... زيفِ المناصبِ والمراتبِ رائدَا
شمسي إمامُ المصلحينَ يشعُّ . رغ ... م اللَّيل والأنواءِ . ضوءً مُرشِدَا
ما ضرَّه إفكُ الطغاةِ وربُّهُ ... أعطاهُ بالقُرآن ذِكْرًا خالدَا
ما "بالبطاقات" افتخرنا؛ فخرُنا ... عالي البناءِ مدارسًا ومساجدَا
(...) مُوتوا بغيظكمُ فإنِّي "بالبيا ... ضِ" أُشعُّ بالإصلاح قُطبا ماجِدَا
ربِّي! لأجل الحقِّ أعنُو ضارعًا ... وأظلُّ رُغمَ الشَّوكِ أشمَخُ ساجدَا
من أجل ديني، أمَّتي، وعقدَيتِي ... أحسُو العذَابَ زُلالَ ماءٍ باردَا[2]

ومن رجال الحقِّ الذين انحاز لهم شعراء المنطقة نذكر شاعر الثورة **مفدي زكريا**، الذي غُمِطَ حقُّه حيًّا وميتًا هو الآخر، فكان في زمنٍ ما مجرَّدُ الإشارة إلى نضاله الوطني أو مواقفه السياسيَّة يصنِّفُ صاحبَهُ ضمن خانة المغضوب عليهم من أجهزة

1)– ناصر، «**في رحاب الله**»، (د.د.ن)، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط1، 1991م، ص: 41.

2)– ناصر، «**الخافق الصادق**»، ، ص: 75.

المنارة للاستشارات

الدولة ودواليبها، ولكن شاءت إرادةُ الله أن تتغيَّر الأحوالُ السياسيَّة في البلاد، ويتحوَّل الإجحافُ إلى إنصافٍ، ويُرَدَّ الاعتبارُ لهذا الشاعر الذي أخلص نضاله بدمه وقلمه لأجل وطنه، ولقد عبر شعراءُ المنطقة بصدق وجرأة عن موقفهم من **مفدي زكريا** ورفضهم للإقصاء والتهميش والتعتيم الذي طال شخصية الشاعر وأدبه، قال محمد ناصر في قصيدة نظمها سنة 1987، بعنوان «**قافلة مفدي زكرياء**»:

(...) نَم هَنيئًا "مُفدِي" فَحولَكَ شُبَّانٌ ... وَعَوا منكَ كيف تُفدَى الجزائِرْ
شاقهم رائدًا "بيُّوضُ" و"مُفدِي" ... وكفى رائدًا: إمامٌ وثائرْ
ثائرٌ جنَّد النفوسَ لتَفدِي ... وإمامٌ يبثُّ فيها الشعائرْ
فالتقى الدينُ والفداءُ ليُحيي ... بالنضال الأصيل مجد الجزائرْ
(...) إيه مُفدي ولو جَفَتْكَ الليالي ... كلُّ ليلٍ له، وإنْ طالَ، آخِرْ
إيه مُفدي سيَّان ذكرٌ ونُكرٌ ... أنتَ مُفدي فما يُضيرُكَ ناكِرْ
(...) إيه مُفدي كفاكَ مُفدي نشيدٌ ... عَرَفَ الدهرُ في لظاهُ الجزائِرْ[1]

السمةُ الملاحَظَةُ على التحيُّز إلى الحقِّ ورجاله أنَّه تحيُّزٌ قائم على أساس عقدي إسلامي متجذِّر عميق، وهو ما دلَّت عليه كلُّ الشواهد التي استعرضناها أو أحلنا القارئ عليها، فلذلك نصنِّف هذا النوع من التحيُّز ضمن التحيُّز المعرفي الواعي إلى النموذج الأسمى والأمثل وهو ما يسميه المسيري «**التحيُّز للحقيقة**»... تحيُّزٌ للقيم المعرفيَّة وللحق الذي عُرِفَ به هؤلاء الرجال، فمعرفة الحقِّ وإدراكُه هو المعيارُ الذي يوزن به الرجال وليس العكس، كما قال الإمام الغزالي في "إحيائه": «**فاعلم أنَّ من عَرَف الحقَّ بالرجال حار في متاهات الضلال، فاعرف الحقَّ تعرف أهلَه إن كنت سالكًا طريقَ**

1)– ناصر، «**الخافق الصادق**»، ص: 75. وينظر في السياق ذاته (أي الدفاع عن الحق المتجسد في شخصية مفدي زكريا)، خرفي: «**من أعماق الصحراء**»، قصيدة «**يسجن**»، ص47. وينظر باجو: «**لبيك يا وطني**»، قصيدة «**في ذكرى شاعر الثورة مفدي زكريا**»، ص: 140، وينظر خرازي: «**متى الصبح يا وطني؟!**»، قصيدة «**في موسم الهجرة إلى المجد**»، ص: 73. وينظر الملف الخاص الذي يضمُّ عدَّة قصائد بعنوان «**وقفات في حقِّ شاعر الثورة**»، للشاعر دواق سليمان بن عمر: «**أنغام الوفاء**»، نشر مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، ط1، جوان 2004، ص: 141- 169.

المنارة للاستشارات

الحقِّ»[1].

ثانيا: التحيُّز للإسلام وللرسول ح: الدينُ الإسلاميُّ أهم عنصر من عناصر الهويَّة الجزائريَّة، ولقد أكَّدت دساتير الجمهوريَّة الجزائريَّة - بلا خلاف ولا تبدُّل - أنَّ الإسلام هو دين الدولة، ومرجع هذا التأكيد هو تكوينُ المجتمع الجزائري الممتدُّ عبر التاريخ، وما جاء في بيان أوَّل نوفمبر 1954، الذي جعل الهدف الأسمى للاستقلال الوطني من خلال تحقيق جملة منطلقات أوَّلها: «**إقامة الدولة الجزائرية ذات سيادة ضمن المبادئ الإسلاميَّة**»[2]. ولقد كان الإسلام وما يزال عاملا مهمًّا في تشكُّل الهويَّة الدينية في الجزائر، ذلك أنَّ العقيدة الإسلاميَّة هي قوَّة موحِّدة بين مختلف التجمعات العرقيَّة، ولم تكن هذه العقيدة يوما عنصر صدام أو تضاد مُفتِّت للبنى المؤثرة والمتداخلة، مما أوجد ثقافة إسلامية جامعة ابتعدت عن الصراع الثقافي والأيديولوجي، وهذا هو البعد المُعجز في النَّسق المعرفي الإسلامي؛ إنَّه يجمع الشتات، ويوحِّد الصفوف، من غير أن يقضي على الخصوصيات والانتماءات الفرديَّة والجماعيَّة، ومنه فإنَّ المسلمون في خراسان وبلاد فارس وشرق آسيا أو إفريقيا مع تمسكهم بتعاليم الإسلام ومبادئه فإنَّ الإسلام لم يُلغ ثقافاتهم أو لغاتهم أو أعرافهم الاجتماعية الصالحة، ولم يفرض عليهم أنساقًا معرفيَّة جاهزة، بل إنَّ «**الإسلام قبل التنوُّع داخل إطار شامل من الوحدة، وحدة ليست عضوية، وإنَّما فضفاضة، وهو تنوُّعٌ قد سمح للجماعات الدينيَّة والإثنيَّة المختلفة بأن تُبدع من خلاله، مثل إبداع الأكراد، وإبداع العرب المسيحيين واليهود**»[3].

---

1)– أبو حامد الغزالي، «**إحياء علوم الدين**»، تق/ بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة "كرياطه فوترا" سماراغ، أندونيسيا، (د.ط)، (د.ت.ن)، ج1، ص23.

2)– ينظر نص بيان أول نوفمبر ضمن النصوص المؤسسة للجمهورية الجزائرية، في موقع رئاسة الجمهورية على الأنترنت:
http://www.el-mouradia.dz/arabe/symbole/textes/symbolear.htm (تاريخ الزيارة: 02 جوان 2016)

3)– سوزان حرفي (تحرير): «**حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري (3): الهويَّة والحركية الإسلامية**»، دار الفكر دمشق، سوريا، ط3، 1433هـ/ 2012م، ص: 147

المنارة للاستشارات

إنَّ الدارس للخطاب الشعري لأبناء منطقة وادي ميزاب يُدرك بوضوح هيمنة التحيُّز لدين الإسلام ومبادئه الوحدويَّة وأنَّه أبرز أنواع التحيُّز ظهورًا وحضورًا وتأثيرًا[1]، يقول محمَّد ناصر معتزًّا بقيم الإسلام السامية التي تلقَّاها في «**معهد الحياة**» على يد شيخه سعيد شريفي (**الشيخ عدُّون**):

علَّمْتَنا ألاَّ نَرى غيرَ السماءِ تَدَيُّناً، وتساميًّا فوقَ الدنيَّة
(...) لقَّنتَنا قِيَمَ الصلاةِ، فحوَّلَتْ مِنَّا النفوسَ مآذنًا شعَّتْ
عوَّدَتْنَا فَرْضَ الجماعةِ فانْصَهَرنا في الجماعةِ لا نَدِينُ
فتَّحْتَ أعيُنَنَا بنورِ الفجرِ فانجابَتْ دياجِي كُلِّ مُشْكِلة
وأضأتَ من نور الكتابِ طريقنَا فتوَجَّهَتْ نحو المعالِي
وتوَحَّدَتْ خُطواتُنا نحو الغدِ البسَّام نَمْضِي في طريق
الدينُ أرْضَعَنَا فآخَى بيننَا والدينُ للأفكارِ رابطةٌ قَويَّة[2]

يسجِّل الشاعر أنَّ الإسلام هو الوشيجةُ الأقوى التي تلحم أبناء الشعب الجزائري باختلاف انتماءاتهم العرقيَّة واللغويَّة والثقافيَّة والأيديولوجية، والتاريخ يؤكِّد أنَّ اعتناق أمازيغ الجزائر وشمال إفريقيا للإسلام جعلهم أشدَّ حبًّا للعرب وتعلُّقا بهم من أيِّ شعوب العالم الأخرى، وقد أقر الإمام عبد الحميد بن باديس هذه الحقيقة قبل عدَّة عقود، حين قال: «**أمَّا أبناء يعرُب وأبناء مازيغ فقد جمع بينهم الإسلامُ منذ بضعة عشر قرنا، ثم دأبت تلك القرونُ تَمزِجُ بينهم في الشدَّة والرَّخاء، وتؤلِّف بينهم في العسر واليسر، وتوحِّدهم في السرَّاء والضرَّاء، حتى كوَّنت بينهم خلال أحقابٍ بعيدةٍ عنصرًا مسلمًا جزائريًّا أمُّه الجزائر وأبوه الإسلام. وقد كتب أبناءُ يعرُب وأبناءُ مازيغ آياتِ اتِّحادِهم على صفحاتِ هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله، وما أسالوا من**

1)– ينظر على سبيل المثال: خرفي: «**من أعماق الصحراء**»، ص، ص: 32، 107، باجو: «**لبيك يا وطني**»: ص، ص: 16، 61، 78. محمد صالح ناصر: «**البراعم الندية**»، مكتبة الريام للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1427هـ/ 2006م ص، ص: 06، 10، 12، 20، 34. سليمان بن عمر دوَّاق: «**أنغام الوفاء**»، نشر مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، ط1، 2004م، ص:41. هيبة: «**قلبٌ وحجر**»، ص، ص: 09، 15، 19، 28، 37، 173، 176، 208. خرازي: «**متى الصبح يا وطني**»، ص، ص: 19، 31، 85.

2)– ناصر، «**الخافق الصادق**»، ص: 54، 55.

المنارة للاستشارات

محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم، فأيُّ قوَّة بعد هذا. يقول عاقل. تستطيع أن تفرِّقهم؟»[1].

في مطلع سنة 1987م زار القرارة وفد من الطلبة الشباب والأساتذة من «**جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي**» من مدينة باتنة، ألقى محمد ناصر قصيدة بثَّ فيها مشاعره الإسلاميَّة الصادقة تجاه إخوانه، وهي تلخص ذات المشاعر التي يحملها أبناء ميزاب لكلِّ إخوانهم الجزائريِّين والمسلمين في العالم أجمع، وقد ألقى الشاعرُ هذه القصيدة مرَّة ثانية بين يدي الداعية الإسلامي **الشيخ محفوظ نحناح** حين زار القرارة في أواسط فيفري من سنة 1990م، يقول فيها:

(...)أخِي للُقياكَ غاضَ الشِّعرُ منْ	وأسْكَتَتْ كلِمِي ما فَاضَ من صُوري
مَحَضْتُكَ الوُدَّ لم أعْرِفكَ عنْ	مِن قبلُ، لكنْ يقِينًا أنْتَ في فِكَري
هويْتُكَ لم أبْصُركَ عن كثَبٍ	منْ قبلُ، لكِنْ يقِينًا أنتَ في بَصري
في القلب أنت أخي في الله مِن صِغَرٍ	كمْ ذَا لقَيتُكَ بَيْنَ الآي والسُّوَر
جَلاَّكَ لِي اللهُ أوصافًا وتَسْمِيةً	فليْسَ تُخطِئُ عيْنِي اليوْمَ في النَّظر
عيناي عيْنَاك، بيتُ اللهِ وُجهتُنَا	نسْتلْهمُ الرُّشدَ منْ أفْيائِهِ الغُرَر
رجْلايَ رجْلاَك، هَدْيُ اللهِ وحَّدنَا	نحوَ المسَاجِدِ في الآصَال والبُكُر[2]

يُظهر الشاعر تحيُّزًا واضحا إلى الدائرة الدينيَّة الإسلاميَّة، فالأخوَّة الإسلاميَّة محدَّدة المعالم والأوصاف في القلب من قبل أن يلتقي الشخصان، فالشاعرُ **يحبُّ أخاه المسلم حبًّا فوق الحواسِّ وفوق المادَّة**، فهو حاضرٌ في فكره وبصره بوضوحٍ ويهواه من غير أن يرى صورته أو يتعرَّف على شخصه، وهذا الحضورُ جلاَّه الله تعالى الذي يؤلِّف بين القلوب، فلا تُخطئ العينُ ما أقرَّه الله في القلب، فيغدو الشخصان المتحابَّان في الله شخصًا واحدًا قبلته بيت الله، وغايته محبَّته ورضوانُه...

وفي ذات القصيدة يصرِّح الشاعر بتحيُّزه إلى دائرة الانتماء الإسلاميَّة على حساب

---

1)– عبد الحميد بن باديس: «**آثار ابن باديس**»، إعداد وتصنيف: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، ط1، 1388هـ/ 1968م، ج3، ص: 483.

2)– ناصر، «**في رحاب الله**»، ص: 79.

المنارة للاستشارات

دوائر الانتماء الجنسيَّة والعرقية والجغرافية، فلا شيء في مقوِّمات هويَّته يعلو على المقوِّم الإسلامي، لا جنس ولا عرق ولا نسب ولا أيديولوجيا... وأنَّ ما يسعى إليه البعضُ من التفرقة بين الجزائريين بالعزف على هذه الأوتار لا ولن يؤتي ثمرتَهُ، ليختم الشاعر قصيدته بقَسَم صريح بأنَّه لن ينفك معتبراً (أخوَّة الدين) دستورَه الذي لا يحيد عنه مدى عُمره:

(...) وأشْعلُوهَا خِلاَفَاتٍ مُؤَجَّجةً ... «ومُعظمُ النَّارِ منْ مُسْتصْغرِ الشَّررِ»
وقَسَّمونَا دَوَاوِيراً مُشَتَّتةً ... ودارةُ الدِّينِ حِضْنٌ غيْرُ مُنْشطِرِ
فإنْ يَقُولُوا: «أعارِيبًا، بَرابِرةً» ... نقُولُ: «والدِّينُ فوقَ الجِنْسِ والصُّورِ»
وصِبغَةُ اللهِ أغْنَتْ عنْ مُسَاومَةٍ ... بالجِنسِ، والعِرْقِ، والأنْسابِ، والفِكرِ
بالحُبِّ وحَّدنَا التَّوحِيدُ من أزَلٍ ... فليْس نُقسَمُ في عُسْرٍ ولا يُسُرِ
أقْسمْتُ باللهِ لنْ أنْفكَّ عنْ قَسَمِي ... أُخوَّةُ الدِّينِ دُستُورِي مَدَى العُمُرِ[1]

ومن مظاهر التحيُّز للإسلام عند شعراء منطقة ميزاب تحيُّزهم إلى آخر الأنبياء، الرسول محمد ح، وإظهار محبَّتهم له وتذكُّر عظيم فضله على الأمَّة، والوقوف في وجه كلِّ من يحاول الانتقاص من سيرته أو شخصه. وكما رأينا فإنَّ التحيُّز الحادَّ إلى أحد مقوِّمات الهويَّة يحدث عادة عندما يتعرَّض هذا المقوِّم إلى الانتهاك والعدوان، وهو ما لم يتخلَّف فيه شعراءُ المنطقة، فهذا محمد ناصر ينتفض سنة 1989 ضدَّ الصمت العربي والإسلامي على الانتهاكات التي تطال رموز الأمَّة الإسلاميَّة وعلى رأسها كتاب الله ورسوله ح، فنظم قصيدة بعنوان «**الآيات الشيطانيَّة، بين رفث الغرب وعبث العرب**»، عبَّر فيها بكلِّ حرقة وغضب عن شعوره، فقال فيها:

يا أمَّةَ الوحْيِ، أهْوالٌ مآسِينَا ... طمَّتْ مواجِعُنَا إذ غابَ آسِينَا
(...)الغَرْبُ يقْتلُنَا ذبحاً ومَسْغبَةً ... والعُربُ تَقتُلنَا صمتًا وتسْكينَا
(...) يقُولُ سَاسَتُنَا، والقولُ ... «ما ارْتدَّ رُشْدِي، دَعُوا الأفْكارَ

1)– نفسه، ص: 80.

المنارة للاستشارات

إنْ يشْرَبِ الكُفْرَ، ماذا ضرَّ موْرِدُهُ ... وإن يسبَّ نَبِينَا ليسَ يَعنِينَا»
رُشدِي الغِوَايةِ، لا يَغْرُرنَكُم لقبٌ ... كمْ زَخْرفَ الإثْمُ إغواءً عنَاوينَا
إبْلِيسُ ألْهمَهُ، والحِقْدُ علَّمهُ، ... والغَربُ لَقَّنَهُ الإلحَادَ تَلقِينَا
(...)ومنْ يَبِعْ دِينَهُ قاءَتْهُ أُمَّتُهُ ... وقادَهُ . ذِلَّةً . إبْلِيسُ مَلعُونَا

موقفُ الشاعر واضح في هذه القصيدة من أصل المشكلة ومظهرها، والحل واضح عنده كذلك، فلا نهضة ولا عزَّة للأمة الإسلامية إلاَّ بالعودة إلى نور التوحيد ونهج الرسول ح، وبالوحدة والائتلاف، ونبذ الفُرقة والخلاف.

إن ما نلاحظه في موقف شعراء ميزاب من مسألة الإساءة إلى الرسول ح هو تحويلُهم لهذه المسألة الرمزيَّة إلى مساءلة للذات العربيَّة والإسلاميَّة وفرصة لإيقاظ النوَّم واستثارة الهمم، اتَّخذوها فرصة للدعوة إلى مراجعة الذات وتصحيح الأخطاء والعودة إلى نهج الحقِّ القويم.

ثالثا: التحيُّز للمذهب الفقهي:

المكون المذهبي وصلته بالهويَّة الإسلامية: إنَّ من مكوِّنات النسق المعرفي لشعراء العيِّنة انتسابُهم جميعًا إلى مذهب فقهيٍّ واحدٍ هو المذهبُ الإباضي[1]، والمذهب الإباضي هو أحد المقومات المميِّزة للهويَّة عند هؤلاء، كما يعدُّ هو والمذهبُ المالكي دائرتان متداخلتان من دوائر الانتماء الكثيرة التي تكون هويَّة الشخصيَّة الجزائرية المسلمة. وبالرغم من أن الإباضيَّة في الجزائر لا يمثلون سوى **0.7**٪ أو أقل من عدد السكان، إلاَّ أن اشتهارهم بالأخلاق الفاضلة، ونشاطهم الحضاري الدؤوب، وانتشارهم الفعال في سائر أرجاء القطر كثَّرهم في عيون

1)– مذهب من المذاهب الإسلامية، وهم أتباع الإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي الفرقي العُماني (ت: 93هـ/ 711م)، وكانت جماعتهم تُسمى «**أهل الحق**» وتُسمى «**أهل الدعوة**» و«**أهل الاستقامة**»، ولم تختر لنفسها اسم «**الإباضية**»، بل دعاها به غيرُها، نسبة إلى عبد الله بن إباضالتميمي المقاعسي المرِّي (ت: 86هـ/705م) نسبة غير قياسية، وإنَّما بسبب ما اشتهر به ابن إباض من مراسلات سياسية دينية مع الخليفة عبد الملك بن مروان. (ينظر: مجموعة من الباحثين، «**معجم مصطلحات الإباضية**»، ج1، مادة "إباضية"، ص21.

المنارة للاستشارات

إخوانهم، وأكسبهم مكانة محترمة ومعتبرة لدى الشعب الجزائري[1].

ولسنا بحاجة إلى التنويه هنا إلى أنَّ التعدُّد المذهبي في الإسلام ليس ظاهرة سلبيَّة بقدر ما يعكس ثراء الفكر الإسلاميِّ ومرونته أمام المتغيِّرات، والمذهبيَّة هي حركةُ فكرٍ واجتهاد في قراءتها وتعاملها مع النُّصوص القرآنيّة والسنَّة الشريفة، ولا يمكن تصور. بأية حال من الأحوال. إسلامًا بلا مذاهب، إسلامًا لا لون له ولا طعم ولا رائحةفهذا لا وجود له، ولا سبيل إليه، لأنه مضادٌّ لطبائع الحياة والبشر والدين.

وفي مجال علاقة المذهبية بالهويَّة يقول المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله (و:1935/ت:2010): «**ليس الحلُّ أن نُلغي المذهبيَّات، بل الحلُّ أن تحوَّل المذهبيَّات إلى حركة فكريَّة في ساحة الصراع في فهم الإسلام، لأنَّنا إذا عشنا المذهبية الفكريَّة، فإنَّ ذلك يغني اجتهاداتنا الإسلاميَّة، بينما إذا عشنا المذهبيَّة العشائريَّة، والمذهبيَّة الطائفيَّة، والمذهبيَّة المعقَّدة، والمذهبيَّة المتعصِّبة، فإنَّ ذلك سوف يؤدِّي إلى المزيد من الأحقاد. ومشكلة المسلمين هي أنَّهم لا يعيشون المذهبيَّة الفكريَّة، بل يعيشون المذهبيَّة المختنقة المتعصِّبة، غير المستعدَّة لأن تنفتح على الآخر...**»[2].

وفي «**معجم مصطلحات الإباضية**» نجد أنَّ: «المذهب في الاصطلاح اسمٌ للطريق الذي بانت به كلُّ فرقة في الفروع ومسائل الاستنباط والقياس،وليس في المذهب قطعُ عذر المخالف، ولا تفسيقٌ ولا تكفيرٌ. والمصيبُ في تلك المسائل واحدٌ غيرُ معيَّنٍ،وقد مثَّلوا للمسائل التي تختلف فيها المذاهب ممَّا لا يقطع فيه العذر، برفع اليدين في الصلاة (...)وفي بيان اعتبار الإباضيَّة للمذهبيَّة قال نورالدين السالمي: «**ليس لنا مذهبٌ إلاَّ الإسلام، فمِن ثمَّ تجدُنا نقبل الحقَّ ممن جاء به، وإن كان بغيضًا، ونردُّ الباطل على من**

1)– ينظر على سبيل المثال المقال المنشور في جريدة الشروق اليومي الجزائرية، ع 681، بتاريخ (2003/01/25)، بعنوان: «**حبٌّ عقلي!**»، محمد الهادي الحسني: «**أشعَّة الشروق اليومي**»، شركة دار الأمَّة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005، ص176.

2)– محمد حسين فضل الله: «**الندوة، سلسلة ندوات الحوار الأسبوعية بدمشق، محاضرات ومطارحات في العقيدة والتربية والفقه والسيرة**»، إعداد عادل القاضي، نشر دار الملاك، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 1999م، ج5، ص: 292، 293.

المنارة للاستشارات

جاء به، وإن كان حبيبًا، ونعرف الرجال بالحقِّ، فالكبير عندنا من وافقَه، والصغير من خالفه، ولم يشرِّع لنا ابنُ إباضٍ مذهبًا، وإنَّما نُسِبْنا إليه لضرورة التمييز، حين ذهب كلُّ فريق إلى طريق، وأمَّا الدينُ فهو عندنا لم يتغيَّر»[1][2]. هذا هو المعيار الدقيق الذي يحفظ به الإباضيَّةُ تحيُّزهم من الغلو والتطرُّف أو التمركز حول الذات وهو ما عبَّر عنه المسيري في دائرة أوسع بقوله: «**ولا تكون الهويَّة أمرًا مذمومًا إلا حينما تصبح مرجعية ذاتها، ولا تقبل بأي معايير خارج ذاتها**»[3].

لقد تعرَّض الإباضيَّة منذ نشوء مذهبهم وطيلة مسار تاريخيهم إلى كثير من الضغوطات والمضايقات، وأشدُّ هذه المضايقات نابع أساسًا من الطعن في دينهم وتصنيفهم في دائرة (الخوارج) عن الإسلام، فكان الحكَّام الأمويُّون . ولغرض سياسي وبتواطؤ من بعض كتاب المقالات والمؤرخين وفقهاء البلاط . يلصقون تهمة المروق عن الدين والخروج عنه بأي فئة تُناصبها العداء، أو تختلف معها في التوجُّه السياسيِّ، ولعلَّ هذه الصفة هي أشدُّ ما عانى منه الإباضيةُ منه طيلة تاريخهم، لذلك نجد أنَّ التحيُّز للمذهب تزداد حدَّته كلَّما تعرَّض أتباعُه إلى المضايقة وتعرَّض انتماؤُهم للانتقاص والطعن، ولقد تفطَّن الغرب الصليبيُّ واليهود لهذا الأمر فكانوا يوقظون الفتن بين المسلمين بفتح ملف المروق من الدين وزرع فكر التكفير والإقصاء فيهم، يقول محمد ناصر في قصيدة بعنوان «**هذا الزمنُ العلمانيُّ**»:

(...) أمَّا السِّياسَةُ أن تُدَارِي سَاسَةً ... فِي الحُكمِ مَا حَكَمُوا فَأَنْتَ مُدَارُ
صَفِّقْ لِفِرعَونَ وَذَبِّحْ خُطبَةً ... لِهِجَاءِ فِرعَونَ مَتَى يَنهَارُ
(...) واحذر سمات الصالحين فذاك ... عُرفِ «البُولِيسِ» تَطَرُّفٌ وَبَوَارُ
فهُمُ «الخوَارِجُ» و«الخوارِجُ» لَعنَةٌ ... فِي رَأيِ حَجَّاجِ البِلادِ وَعَارُ
كَن فِي الجَمَاعَةِ وَالجَمَاعَةُ "سُنَّةٌ" ... وَغَرِيبُ قَومٍ مَا لَهُ أَنْصَارُ
هَذَا الذِي أَفتَى بِهِ «بُوشٌ» ... وَنَحنُ لِشَيخِنَا الأَسمَاعُ

1)– نورالدين السالمي: «**العقد الثمين**»، تح/ سالم بن حمد الحارثي،دار الشعب، القاهرة، مصر، (د. ت.ن). ج1، ص: 177.

2)– ينظر: مجموعة من الباحثين، «**معجم مصطلحات الإباضية**»، ج1، مادة "ذهب"، ص428، 429.

3)–حرفي: « **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري(3) الهويَّة والحركية الإسلامية**»، ص: 148.

المنارة للاستشارات

(...) أينَ «الخليلُ»[1] وكِسرةٌ في يمرؤُهَا اعتِزَازٌ بالتُّقى ووَقارُ
وَهُوَ الَّذِي شَاءَ سَارَ عَلَى الدِّمَقْـ ـسِ يَحُفُّهُ، مثلَ الملوكِ، نُضَارُ
وَ«أبوعُبَيدَةَ»[2] أَسرجَ القِنديلَ في سِرْدَابِ، فَانْبَلَجَتْ بِهِ الأَنوَارُ
شَادَ الحَضَارَةَ عِلمهُ فِي المَشْرِقَينِ وَمَا لَهُ فِي المَالِكِينَ عَقَارُ
مَا ضَرَّهُ صُنْعَ القِفَافِ وَعِلمهُ صَنَعَ الرِّجَالَ الصَّادِقِينَ فَثَارُوا
الأَسْوَدُ المَولَى، وَقَد بَاعَ الإلَـ ـهَ حَيَاتَهُ فَأَجَلَّهُ الأَحْرَارُ
وَأَنَارَ دَربَ المَشرِقَيْنِ شُرَاتُه فَهُمُ الشُّرَاةُ وَقَد طَغَى التَّيَّارُ[3]

وبالرغم من المفارقة المتألمة التي تكتنف هذه الأبيات إلاَّ أنها تُبرز موقف الشاعر المعتزِّ بمذهبه وبما يحمله رجالُه من قيم ومبادئ عمَّ نورها المشرق والمغرب. والشاعر يضع هذا النموذج المعرفي في هيئة الدفاع والممانعة ضدَّ النموذج المعرفي الغربي الذي يُحاول بسطَ سيطرته وهيمنته، فورود اسم الرئيس الأمريكي (بوش) مقترنًا بالقهر والسيطرة البوليسيَّة القمعيَّة يبيِّن مدى وعي الشاعر بسبب افتراق الأمَّة والتخلف الذي يصيب المسلمين.

والحق أنَّ المتأمل في قصائد شعراء العيِّنة يكتشف هذا الوعي بأهمية نبذ الفراق والتفطُّن لمكائد الغرب ونزغاته، لذلك نجد تحيُّزهم إلى المذهب لم يكن تحيُّزا متطرِّفًا متعدِّيا على تحيزات الآخرين، كتفسيق الآخر أو تكفيره، بقدر ما كان تحيُّزا دفاعيًّا توضيحيًّا وتبريريًّا للحق في الاختلاف في إطار النموذج المعرفيِّ الإسلامي الوحدوي

1)– الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي العُماني: واضع علم العروض، وعلم الأصوات، وعلم الفهرسة (المعجميَّة)، والعبقري الفذُّ. عاشت الدنيا بعلمه وكان يعيش في خُصٍّ [بيت من جريد النخل]، أرسل إليه أحدُ وُلاة بني أمية هدايا يستدعيه، فقال لرسوله: «ما دُمتُ أجد كسرة خبزٍ يابسة فلست في حاجة إليه».

2)– أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي: أستاذُ حمَلة العلم بالبصرة، الذي أرسل حملة العلم من المشرق إلى المغرب من سرداب في البصرة، كان يدرِّس فيه خِفيَة من عيون جبابرة الدولة الأموية الذين يطاردون كلَّ ذي فكرٍ حُرٍ.

3)– ناصر، «ألحان وأشجان»، ص: 59 – 61.

المنارة للاستشارات

الفضفاض[1]. ولقد لاحظنا أنَّ جلَّ الشواهد الشعريَّة من عينة الدراسة تدور في هذا الفلك[2]. يقول محمد ناصر:

(...) نحنُ الشراةُ وما لنا من عُقدةٍ ... و"كجابرٍ"- إن شئتَ- نحن ما التسمياتُ تَشِينُ تِبْرًا صافيًا ... ومذاقُهُ العَسَلُ المصفَّى بَاقِيَة
ما ضَرَّنا اسمٌ، كَفَى بمُحَمَّدٍ ... نَسَبًا لنَا، فالمُسلِمُون سواسيَة
وَبِدَارةِ الإسلامِ نَشرُف مَذْهَبًا ... وبأمَّة التوحيدِ تَفخَرُ ناجيَة
وَبِمُصحَفِ التَّنزيل نَلجَأُ صَا ... مِدِينَ، كفى بربِّك حافظًا من
لا ظُلمَ في تَاريخِنَا، لا نُكرَ في أخلاقِنَا ... نحنُ الأخوَّةُ لا نَرُومُ كَرَاهِيَة
"الرُّستُمِيَّةُ" شاهدٌ، و"الجابريَّةُ" قائدٌ ... وكفى بِدَيْنِ شريعة ربانية[3]

1)–«**الوحدة الفضفاضة**» مصطلح اقترحه المسيري بديلا عن الوحدة العضوية التي تؤدي إلى العنف والصراع، الوحدة الفضفاضة هي تلك التي تسمح لكل الجماعات الإثنية والدينية بأن تحافظ على فضائها الحضاري الخاص، وتفسح المجال أمامها بأن تعبر عن هويَّتها، طالما أنَّ هذا التعبير لا يفتُّ في عضد سيادة الوطن أو الأمة. ينظر حرفي: « **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري(3) الهويَّة والحركية الإسلامية**»، ص: 151.

2)– ينظر على سبيل المثال، باجو: «**لبيك يا وطني**»، ص، ص: 91، 110، 113، 120، 168، هيبة: «**قلب وحجر**»، ص، ص: 15، 19، 23، 44، 173، 176.

3)– ناصر، «**الخافق الصادق**»، ص: 90، 91.

المنارة للاستشارات

رابعا: التحيُّز للغة العربية: تمثِّل اللغة العربية أبرز مقومات الهويَّة لدى شعراء العينة بعد مقوم الإسلام، ولا تخفى على المرء علاقة اللغة بالهويَّة، فبالإضافة إلى اعتبار اللغة أداة للتخاطب ونقل المعرفة فإنَّها تمثل رابطة اجتماعيَّة وفكريَّة بين أفراد الجماعة الإنسانية المشتركة، بل إنَّ اللغة هي الأداة التي تجعل من العالم موجوداً، وبالتالي فنظرتُنا الخاصَّة للموجودات والأفكار. والحكم عليها بالتبع. يتمُّ من خلال اللغة. وإذا تناولنا المسألة من وجهة نظر فقه التحيُّز وجدنا أنَّ اللغة بحدِّ ذاتها متحيِّزة وليست محايدة، كما يقول المسيري: «**التحيُّز لصيقٌ باللغة الإنسانيَّة نفسها (...) كما ثبت أنَّ كلَّ لغةٍ مرتبطةٌ إلى حدٍّ كبير ببيئتها الحضاريَّة وأكثر كفاءة في التعبير عنها (...) كلُّ هذا يعني أنَّ اللغة الإنسانية ليست أداة مُحايدة مثل لغة الجبر والهندسة**»[1].

وإذا رجعنا إلى مدوَّنة الدراسة فإنَّنا نجد ثنائيَّةً تستحقُّ وقفة تأمُّل؛ وهي أنَّ كلَّ شعرائها ليسوا في أصولهم الإثنية عربًا بل من «**الميزابيِّين الأمازيغ**»، يتحدَّثُون في إطارهم المحلِّي بالميزابيَّة بطلاقة، ومع ذلك فإنَّ جميع دواوين المدوَّنة العشرة هي دواوين باللغة العربية الفصحى، بل لا نجد في كلِّ هذه الدواوين العشرة قصيدةً واحدةً بالميزابيَّة! بل أكثر من ذلك لا نجد لأيِّ واحد منهم ديوانًا بغير اللغة العربية الفصحى! وهذه الثنائية تؤكِّد ما ذهبنا إليه من مسألة الاختيار الحضاري والتحيُّز الواعي إلى الفصحى التي تميَّز بها هؤلاء الشعراء.

والحقيقة أنَّ التحيُّز إلى العربية الفصحى (خيار كتابة وإبداع) هو تحيُّز جميع الميزابيِّين في الجزائر والإباضية الأمازيغ في شمال إفريقيا، ولعلَّ نظرة تاريخية سريعة توضح المسألة؛ فالمتأمل في تاريخ الجزائر من لدُن الفتح الإسلامي يُدرك حقيقة أنَّ العرب قد ذابوا (عرقيًّا) في الأمازيغ سكَّان شمال إفريقيا، كما أنَّ الأمازيغ قد ذابوا (ثقافيًّا وفكريًّا) في الفاتحين بالإسلام ولغة القرآن، ولا أصدق على ذلك من أنَّ أوَّل دولة مستقلة في الجزائر بعد الفتح الإسلامي هي الدولة الرستمية[2]، التي أسَّسها مسلمُ

1)– المسيري: «**إشكالية التحيُّز**»، ص19.

2)– الدولة الرستمية: (160–296هـ/ 777–909م) قامت في بلاد المغرب الإسلامي.

المنارة للاستشارات

فارسيُّ (الأصل واللسان)، فهو قد تخلى عن "فارسيَّته" اللسانيَّة، و"مجوسيَّة" أجداده الدينية، إلى اللسان العربي والدين الإسلامي ليولِّيَهُ الأمازيغُ الأحرارُ (أجدادُ الميزابيين الحاليين) شؤون دولتهم الإسلاميَّة دون تعصُّب عشائريٍّ أو عنصريَّة جاهلية، لأنَّ أكرم المسلمين عند الله أتقاهم. هذا التمازُج الحضاريُّ الإسلاميُّ أنتج نموذجًا معرفيًّا فريدًا عند الميزابيِّين، ارتقت فيه اللغة العربيَّة الفصحى لتكون مرتبطة بالدين الإسلامي نفسه لا تنفكُّ عنه؛ قداستُها من قداسته، فكان تحيُّزهم إليها على حساب اللغة الأمازيغية الأم عن قناعة ووعي واختيار، هذه القداسةُ عبَّر عنها **مفدي زكريا** شاعر الثورة الجزائرية في عدَّة مناسبات، كقوله في «**إلياذة الجزائر**»:

وُهِبنَا العروبةَ جِنسًا ودِينَا ... وإنَّا بما قَد وُهِبنَا رضينا
إذا كان هذا يُوحِّدُ صفَّا ... وَيَجمَعُ شملاً رَفعنَا جَبِينَا
(...) فأهلاً وسهلاً بأبناءِ عَمٍّ ... نزلتُم جَزَائِرَنا فَاتِحينَا[1]

وقوله في قصيدته «**البُردة الوطنيَّة**» مُعبِّرا عن الفكرة نفسها؛ أي قداسة اللغة العربية ومكانتها في الجزائر من قداسة الدين الإسلامي ومكانته في نفوس الشعب الجزائري بمختلف أطيافه وأعراقه:

نحنُ رُوحٌ مِزاجُه الضَّادُ والـ ... ـدِّينُ، فلن يَستَطِيعَ قَطُّ انْحلالاَ
قَومٌ على الوَلاَءِ خُلِقْنَا ... يَشهَدُ الدَّهرُ ذِكْرَنَا والفِعالاَ
نحن شعبٌ على الزَّمان عزيزٌ ... عربيٌّ كالنَّيِّرين اشتعالاَ[2]

من خلال هذه الشواهد نفهم سرَّ تعلُّق الميزابيين الأمازيغ باللغة العربيَّة، وندرك سرَّ اهتمام شعراء المدوَّنة بالفصحى وتكريس حياتهم الشعرية للإبداع في رياضها ومغانيها. وكما أسلفنا أنَّ الاهتمام بالفصحى في المنطقة لم يكن حكرًا على الشعراء

1)–مفدي زكرياء:«**إلياذة الجزائر**»، إعداد وتوثيق وتقديم الدّكتور محمدعيسى وموسى، نشر مؤسَّسة مفدي زكريَّاء، الجزائر، 2006م، ص:63.

2)– محمد صالح ناصر: «**مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة**»، نشر جمعية التراث، العطف، غرداية، ط2، 1989م، ص: 212.

المنارة للاستشارات

والمثقّفين، بل إنَّ تمسُّك الميزابيين بتعاليم الإسلام رسَّخ فيهم حبَّ الفصحى لغة القرآن. وهذا ما أقره الباحثون المعاصرون في شؤون اللغة العربية الفصحى في الجزائر؛ يقول **الدكتورأحمد بن نعمان**: «قلَّما يوجد من الميزابيين من يتحدَّث بغير الميزابية في البيت، وفي الحياة اليومية مع أفراد العشيرة... وفي الوقت ذاته لا يوجد فردٌ من أهل ميزاب يتعامل بغير اللغة العربيَّة (شفاهيا أو كتابيا) مع باقي المواطنين من أفراد الأمَّة في كافة أنحاء الوطن وخارجه، **ولا أدلَّ على ذلك من أنَّ أروع الأناشيد الوطنية الخالدة تفجَّرت من قرائح أبناء ميزاب الذين عرَّبهم الإسلام فرفعوا للعربية ذكرًا وقدرًا في الأنام وفي أحلك أيام الظلام**»[1].

ويقول الشيخ محمد الهادي الحسني عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، متحدثا عن احترامه للميزابيين: «**أجد فيهم. وهم الأمازيغ الأقحاح. غيرة على العروبة لا أجدها في موطن العرب الأصلي، وأسمعهم يتحدَّثون بلغة يَعرُب فإذا هم في فصاحة اللسان أفصح من قحطان، وقد زادهم حبُّهم لها عزًّا على عزِّهم**»[2].

وإذا شئنا التمثيل من قصائد شعراء المدوَّنة على هذه الحقيقة الناصعة، فإنَّ الشواهد تتزاحم بشدَّة وتتضافر[3]. ففي قصيدة للشاعر محمد ناصر جعل عنوانها «**لُغتي**» [وهذه النسبة في تركيب العنوان تُظهر تحيزًا إلى هذه اللغة على حساب اللغة الأمّ] أهداها إلى كلِّ من يؤمن بالإسلام دينًا، وبالعربيَّة لغةً، وبالجزائر وطنًا، يقول:

يومَ أشرقتِ من كتابِ إلهي	صِرْتِ في العَالَمِين دونَ مثيل
خصَّكِ اللهُ في اللغاتِ بمجدٍ	وخلودٍ برغم أنفِ الدخيل
أنتِ ديني؛ وهلْ حياةٌ بلا	دين يُضيءُ للمرءِ نهْجَ السبيل
أنا أحببتُ في سماكِ كتابي	وتفيَّأْتُ في ثرَاكِ رَسُولي

1)–أحمد بن نعمان: «**الوحدة الوطنية في وحدة الهويَّة**»، نشر دار النعمان للطباعة والنشر، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2014م، ص64.

2)– محمد الهادي الحسني: «**أشعَّة الشروق اليومي**»، ص177.

3)– ينظر على سبيل المثال: خريف: «**من أعماق الصحراء**»، ص، ص: 78، 100، 104، 106، 137. ناصر: «**البراعم الندية**»: ص: 136. هيبة: «**قلب وحجر**»، ص، ص: 136، 146.

المنارة للاستشارات

فعشقتُ الفصيحَ حبًّا لِرَبِّي ... آملاً أن يكونَ فيهِ قبُولي
(...) أنا أهواكِ رغْمَ أنَّ لسانِ ... ي بربَريٌّ لأنَّ فيكِ أُصُولِي
هامةُ المجدِ كنْتِ، وتَبْقيـ ... ـنَ كما كُنْتِ، رغمَ أنْفِ العَذُول[1]

إنَّ الشاعر لا يتنكَّر للغته الأم، ولا ينتقصُ من قيمة لسانه الوراثي، فتعدُّد الألسن آية من آيات الله، فليس بالإمكان التخلُّص من مكوِّن وراثي من مكونات الهويَّة، تماما كما لا يمكن التخلُّص من الجنس والعرق واللون، ولكن إذا تقاطعت دوائر الانتماء، وأُتيح للمرء الاختيار وترتيب الأولويات والمراتب، فإنَّ الغاية المرجعيَّة هي التي تحدد للمرء خياراته، وهي التي دفعت الشاعر إلى تقديم العربية الفصحى على اللسان البربري الميزابي الأصلي، وهذا هو عينُ التجرُّد من الذاتية والعرقيَّة والطائفيَّة والعشائريَّة، بل إنَّه التحيُّز المعرفيُّ الواعي.

يقول محمد ناصر، في قصيدة ألقاها في الذكرى الخامسة لوفاة الإمام الشيخ بيُّوض، معبرًا فيها عن جهاد الشيخ العظيم في سبيل غرس اللغة العربية في قلوب تلاميذه وعقولهم، ومبرزًا تحيُّزه المعرفيَّ الواعي للغة العربية، في مُمانعة قويَّة للاستلاب الحضاري الغربي، والغزو الثقافي الفرنسي لعقول الجزائريين:

(...) روَّيتَنَا آيَ البيانِ من الكِتابِ فشَبَّ في واحَاتِنَا البُلَغَاءُ
فهُمُ النَّخيلُ أصالةً وتفتُّحًا، وهُمُ الغديرُ تحبُّه الصَّحْراءُ
الحرفُ حنَّ إليكَ في فُصْحَاكَ «حَاءٌ» قد ترَعْرَعَ في حشَايَ «وبَاءُ»
وغرستَ في أعماقِنا حُبَّ الفصيحِ، فما لنَا بدلَ الفصيحِ حُدَاءُ
والضَّادُ في أحْشَائنا نورٌ من القرآنِ شعَّ فأوْرَقَتْ أحشاءُ
لم تُغْرِنا باريسُ «بالشقراءِ» تَسْبِي عاشِقِيها في الحديثِ «الغَاءُ»[2]
أو يُنْسِنا الفُصحَى لسانُ جُدودِنا، وهمُ هَوَوْا حرفَ الكتابِ وشاؤُوا
رفعوهُ في رأسِ البلادِ مآذنًا، هزَّتْ قلوبَ المسلمينَ فجَاؤُوا

1)–ناصر: «**الخافق الصادق**»، ص: 57، 58.

2)– الغاء: يقصد به الحرف اللاتيني (R) على طريقة نطق الفرنسيين له، وبالخصوص الباريسيين.

المنارة للاستشارات

وحَمَوْه من سيفِ الدَّخيلِ، وللدَّخيلِ شراسةٌ في حقدِهِ عمْياءُ[1]
فهُم لهُ الأنصَارُ إن عزَّ الفِدَا شَرُفُوا بهِ الأمواتُ والأحياءُ[2]

مشكلة التحيُّز ضدَّ الفصحى: والحقيقة أنَّ إشارة الشاعر في هذه الأبيات إلى «**عاشقي شقراء باريس، والحديث بالغاء**» تعبيرٌ عن حالة مرضيَّة من مخلفات الاستعمار اعترت مكنونات الهويَّة عند بعض الجزائريِّين، فتشكَّلت لديهم عقدةُ النقص تجاه اللغة العربيَّة، وهو ما أفرز في الأخير تحيُّزًا ضدَّها، وهذا النوع من التحيُّز خطيرٌ وغريبٌ سبق وأشرنا إليه في أوَّل البحث، وهو من نوع «**التحيُّز ضدَّ الذات**» كما وصفه المسيري[3]، وفيه يتمُّ التحيُّز إلى واقع معرفي أو مادِّي يقف ضدَّ الذات والهويَّة، فالكثير من هؤلاء لا يدركون أنَّ اللغة هي الوعاء الثقافي لكلِّ منتجات الأمَّة وتراثها، فإن فقدنا الوعاء . أو حاولنا استبداله بوعاء مستورد . أصبح تراثُنا مغلقًا بالنسبة لنا، ثم انقطعت صلتُنا به على مرور الزمن، لذلك لا نستغرب قول بعضهم إنَّ اللغة العربية الفصحى صعبة! بل إنَّ منهم . وقد يكونون من المسؤولين . من يدعون إلى توظيف العاميِّة بدلا منها . وهذا الهجوم على الفصحى نابعٌ من رؤية براجماتية تفضِّل السهل على الجميل والنبيل والأصيل. ولم يُدرك هؤلاء المتحيِّزون ضدَّ الفصحى وهو «أنَّ الدول الغربيَّة تبذُل أقصى جهدها لتمويل مشروعات بحثيَّة تهدف إلى دفع العاميَّات العربيَّة إلى الأمام باعتبار أنَّها لغةُ الواقع التي تحلُّ محلَّ الفصحى، وهي تفعل ذلك لكي تنقطَّع صلتُنا بتراثنا وتاريخنا وماضينا، فتزدادُ هذه الأمَّة تمزُّقا، وتتحوَّل إلى دويلات إثنيَّة لا يربطها رابط»[4].

يقول محمد ناصر مستشعرًا لهذه المشكلة، ومؤكِّدًا أهمية اللغة في بناء الهويَّة، ومندِّدا بكلِّ مُستغربٍ مُعقَّدٍ **متحيِّزٍ ضدَّ الذات**، عابثٍ بقيم الشعب الجزائري العربي المسلم:

(...) لسانُ الرسول الصَّدوق الأمين، تقدَّس حرفًا حكَاهُ النَّبي

1)– الدخيل: يقصد به الدخيل في اللغة العربية، والدخيل بمعنى الأجنبي والمستعمر.
2)–ناصر: «**في رحاب الله**»، ص: 42.
3)–ينظر حرفي، «**حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري(1) (الثقافة والمنهج)**»، ص: 355
4)–نفسه، ص: 335

المنارة للاستشارات

فمن يَنْأَ عنهُ إلى أَلْثَغ يُبَرْطِم (بالغَاءِ) مُسْتَغْرِبِ؟
يلوذُ إلى أعوجٍ أعْجَم، هَجين الهويَّة والمَطْلَبِ
وعادت فرنسا بأجرائِها، لتَنبَح بدرًا علاَ مَغربي
فما فَتِئَتْ ذئبةٌ للذِّئاب تمجُّ لهُم سُمَّها العَقرَبي
وقد نامتِ الأُسدُ في أطلَسِي، فعاثت ذئابُ الخنَى الأجْنَبِي
وعاد الصليبُ بثَالُوثِه، و(شَالُومِه) بالرِّبا الأجرَبِ
جهلتُم حضارةَ شَعبي الأبيِّ، وهل يستفيدُ جهولٌ غَبِي؟![1]

التحيُّز للوطن:

إنَّ التحيُّز للأوطان من الأمور الطبيعيَّة التي جُبل عليها البشر، ولكنَّ هذا التحيُّز الطبيعيُّ إن لم يستند إلى مرجعيَّة نهائية كليَّة وغاية سامية كان مُعرَّضًا للهزَّات والتقلُّبات والتحولات والتلوُّنات، ومجالاً للاستقطاب الأيديولوجي المتغيِّر بتغيُّر موازين القوى في الداخل والخارج. ولقد عرفت جزائرُ ما بعد الاستقلال هذه المشكلة بحدَّة، فكلٌّ يتغنَّى بحبِّ الوطن وتمجيده والولاء له، ولكن قلَّما نجد من يُؤسِّس هذا الحبَّ والولاء على تحيُّزٍ معرفي واعٍ ذي مرجعيَّة نهائيَّة متعالية.

ولنوضِّح هذه المسألة نتأمَّل مفهوم «**الوطنيَّة**» لدى أنصار التَّيار الاشتراكي الشيوعي العربي مثلا، ولقد ساد هذا التيار لعدة سنوات في الجزائر وفي جلِّ الدول العربية، بحيث يدعو هذا التيار إلى استخدام الصراع الطبقي أداةً لتسييد طبقة الأُجراء على طبقة المُلاَّك تمهيداً لإلغاء التمايُز الطبقي، وإقامة المجتمع اللاطبقي الذي تُلغى فيه سائر ألوان الملكيَّة الخاصَّة. ولنتأمَّل قول أحد المتحيِّزين «**تحيزا تلفيقيًّا حادًّا**» للأيديولوجيا الشيوعية التروتسكية، إذ يربط الهويَّة الوطنيَّة بالأيديولوجيا ربطًا وثيقًا لا اعتبار لأحدهما دون الآخر، بما ينمُّ عن أحادية النظرة واستعلائها، فيقول: «الجميع يشعرُون بجديِّة الانتساب للهويَّة الوطنيَّة الواحدة؛ كلُّ عضوٍ شيُوعي يجد لذَّة في ممارستها وفي الدفاع عنها. كلُّ انفعالٍ داخل الخليَّة يكون بسبب الدفاع عن هويَّة الحزب الوطنيَّة. كلُّ وجدان شيوعيٍّ ينذهل أمام شيءٍ شيوعيٍّ واحد هو (الهويَّة

1)–ناصر: «**الخافق الصادق**»، ص: 40، 41.

المنارة للاستشارات

الوطنيَّة). كلُّ شيوعي يعيش حياته بسعادة حين ينضوي تحت (الهويَّة الشيوعيَّة) ويمرُّ المرشَّح الذي يتأخَّر قرارُ عضويَّته بأزمةٍ نفسيَّة من نوعٍ ما تدفعُه للمطالبة بها».[1] ثم يستعرض صاحب القول نصاً تأسيسيًّا اختزاليًّا خطيراً لمفهوم الهويَّة استقاه من أحد قادة ذلك الحزب: «**لقد كنتُ وطنياً وعندما أصبحتُ شيوعياً صرتُ أشعرُ بمسؤولية أكبر تجاه وطني**»[2]. فالوطنية تقوى وتضعف بقدر الولاء للأيديولوجيا أو النظام السائد! بهذه الصورة ظلَّت استراتيجية التحيُّز التام إلى (الهويَّة الوطنية) داخل مثل هذه الأنظمة تحيُّزًا إلى الأيديولوجيا أولاً وأخيرًا، وإن عارضت النصوص والتشريعات ذلك في العلن.

لقد عانت الجزائر كثيراً من تشويه مفهوم «**الوطنيَّة**»، وبينما كان الولاءُ للوطن شعاراتٍ ومجالاً للمزايدة والابتزاز والاتِّهام لأغراضٍ سياسيَّة إبَّان فترة حكم الحزب الواحد (1962- 1989)، فإنَّ الوطنيَّة لدى الجزائريين قد فقدت كثيراً من مصداقيتها ومعانيها في عهد التعدُّدية الحزبيَّة، في ظلِّ تضارُب المصالح السياسيَّة، وافتقار النظام إلى المرجعيَّة والغائيَّة، فاقتصر الشعور بقيمة الوطن عند البعض في مظاهر هزيلة كتشجيع فريق رياضي، أو مسؤول سياسي، أو حتى مغنٍّ في مسابقة فنِّية دولية... بينما تحول مفهوم «**الوطن**» عند الكثير إلى مرادف لمفهوم «**الدولة**» وهذا انحرافٌ خطيرٌ آخر تتعرَّض له الهويَّة الجزائري وسنعرض له بعد حين.

عبَّر الشعراء الميزابيِّين عن تحيُّزهم للوطن، ولو تتبعنا مدونة الدراسة فسنجد أكبر نسبة من عدد القصائد تحتلها بدون منازع تلك التي قيلت في الوطن[3] وفي

---

1)– ينظر جاسم المطير: «**نظرية الهويَّة الاجتماعية في تكوين الحزب الشيوعي**». منشور بتاريخ: الخميس 09 نيسان/ أبريل 2015، ينظر الرابط (http://www.iraqicp.com/index.php/sections/platform/27165-2015-04-09-14-09-50)

2)– نفسه.

3)– ينظر على سبيل المثال: خريف: «**من أعماق الصحراء**»، ص، ص: 70، 104، 106، 115، 116، 121، 123، 129، 131، 135، 163. باجو: «**لبيك يا وطني**»، الديوان كله قصائد وطنية =

المنارة للاستشارات

الذود عنه، والتغني بجماله، والأسى لمأساته إبان العشرية السوداء (1990- 2000) وبعدها، قصائد هادئة تارة وثائرة تارة أخرى... قصائد كثيرة تستدعي وقفة متأنية فاحصة لا يسع هذه الدراسة الموجزة تحقيقها. والحقيقة أننا لو تأملنا هذه القصائد فإننا سنلاحظ أن الوطن عند كل شعراء المدونة لا باعتباره فضاءً جغرافيًّا، ولا باعتباره إقليمًا تحدُّه الحدود شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا، بل إنَّ الوطن أكثر من ذلك بكثير، فهو مجموعٌ من القيم والمشاعر والتاريخ المشترك الذي يربط الإنسان بأخيه الإنسان في هذه الأرض، والإقليمُ الجغرافيُّ ليس سوى جزءٍ من هذا المجموع، لذلك نجد جذور الشعور الوطنيِّ عند هؤلاء الشعراء لا تعود إلى تاريخ رسم الحدود الجغرافية للجزائر المستقلَّة فحسب، بل تعود إلى تاريخ أعرق وأبعد؛ إلى أوَّل دولة وطنيَّة تأسَّست على هذه الأرض منذ سنة 160هـ، وهي الدولة "**الرستميَّة**" التي أسَّسها أجدادُهم، ولمَّا افتكت الجزائر الحديثة استقلالها وأخذ مفهوم الوطن يتبلور ويتشكَّل في وعي الجزائريِّين، كانت هذه المسألة محسومة من قبل لدى شعراء المنطقة، وكان مفهوم الوطن الجزائريِّ لديهم مرتبطًا بكلِّ ما يحمله تاريخ الجزائر العريق من أصالة وانتماء، حتى أنَّ التعلُّق بالوطن الضيِّق (ميزاب) هو نابع من التعلُّق بالوطن الواسع الأصيل من الدولة الرستمية إلى اليوم. يقول محمد ناصر:

هكذا علَّمَنِي ربِّي، وأمِّي، وإمَامِي، بلْ وحُبِّي للجزائرْ
«أنتِ ميزابُ بلادِي» قالهَا اليـ قْظَانُ، وخَرْيفُ ومُفْدي، ثم نَاصِرْ
(...) يا نجومًا في سماءِ الشِّعْرِ شَعَّتْ دُون وحيِ اللهِ ما هَزُّوا المنَابرْ

=

وسجلنا فيه أكثر من ثلاثين قصيدة في صميم الموضوع. ناصر: «**البراعم الندية**»، ص، ص: 16، 36. دواق: «**أنغام الوفاء**»، ص، ص: 21، 26، 29، 33، 43، 47، 65، 89، 163. هيبة: «**قلب وحجر**»، ص، ص: 03، 07، 45، 48، 59، 82، 86، 127، 133، 142، 150، 154، 170. خرازي: «**متى الصبح يا وطني؟!**»، ص، ص: 12، 19، 23، 29، 37، 49، 55، 73، 78، 83، 94، 98.

المنارة للاستشارات

بنداءٍ جاءَ من (تَاهَرْتَ)[1] عَذْبًا رُستميًّا، جابريَّ الحقِ ثَائرْ
(...)«أنتِ ميزابُ بلادي» لمَ نقُلْهَا ضَيْقَ أفْقٍ، بل لتحريرِ الجزائرْ[2]

إذن، حبُّ الوطن عند الشاعر حبٌّ متسامٍ عن الأيديولوجيا، وأعمق من الولاء للسلطة، أو النظام، أو حتى للجغرافيا والتراب، بل إنَّ التحيُّز للوطن هو تحيُّزٌ للنموذج المعرفيِّ الذي يربط الجزائريين ولا ينفكُّ عن المرجعيَّة النهائية التي هي ابتغاء رضوان الله تعالى، فحبُّ الوطن من الإيمان. بالنسبة لشعراء المنطقة. ليس مجرَّد شعار تلوكه الألسن، بل هو قناعةٌ وعقيدةٌ تغدو معها خيانةُ الوطن طعنًا في إيمان الشخص وتديُّنه، فالتحيُّز لدائرة الوطن ينضوي ضمن التحيُّز الكلِّي إلى دائرة الدِّين، وهذا ما يفسِّر الجوَّ الإيماني التبتُّلي الذي خاطب به الشاعر محمد ناصر وطنَهُ الضيِّق ومسقط رأسه (القرارة)، في قصيدته «**قرارة القرآن**»، إذ يقول:

ما الذي حَلاَّكِ فاسْتَهويتِ شَاعِرْ رَغْم أنَّ الحُسْنَ في الأوطانِ سَافِرْ؟
ما الذي أغْرَاكِ بالقلْبِ المُعَنَّى وهوَ في الستِّينَ تُضْنِيهِ المَشَاعِرْ؟
(...) أوَتدرينَ الذي عَلاَّكِ بَدرًا فاهْتَدى السارُون والكيْدُ مُجَاهرْ؟
أوَتدْرينَ الذي أبقاكِ ذُخْرًا وملاذًا لا يُدانَى في الحوَاضِرْ؟
إنهُ القرآنُ، قدْ صِرْتِ به في عُيونِ الناسِ نورًا ومَنَائِرْ
إنهُ النورُ الذي فُزْتِ بهِ فاهْتَدتْ مِنْ قبسٍ منهُ البَصَائرْ
(...)فاخْلَعِ النَّعْلَيْنِ إنْ جئتَ هُنَا فهُنَا الطُّهْرُ عنِ الآياتِ صَادِرْ[3]

مشكلة التحيُّز للدولة/السلطة بدل التحيُّز للوطن: مع بسط الدولة الجزائريَّة سلطتها بُعيد الاستقلال، وتبنِّي أيديولوجيات سياسيَّة وتوجُّهات فكريَّة شرقية وغربيَّة، فإنَّ تشكُّل الهويَّة الوطنيَّة لدى الجزائريين قد تأثر بهذه التطورات، ورسَّخ النظامُ في فترة السبعينيات. خصوصا. فكرة «**التحيُّز للدولة**»، فمن كان معها ومع توجُّهاتها الأيديولوجية كان متحيِّزًا للوطن، ومن أبدى انتقادًا ضدَّ توجُّهها عُدَّ خائنًا للوطن ضدَّ تقدُّمه

1)–«تاهرت»، أو«تيهرت»، أو «تيارت»: عاصمة الدولة الرستمية (160–296هـ/ 777–909م).
2)–ناصر: «**الخافق الصادق**»، ص: 32.
3)–ناصر: «**الخافق الصادق**»، ص: 30، 31.

المنارة للاستشارات

وازدهاره... ويعدُّ التحيُّز للدولة المركزيَّة المسيطرة والمتحكِّمة في كلِّ شيءٍ من بين التحيُّزات الكبرى النابعة من النموذج المعرفي الغربي، وكانت الدولة هي الآلية الكبرى القادرة على تحقيق ذلك، عن طريق وضع الخُطط الشاملة لتوحيد الواقع وتنميطه واختزاله وتكميمه (تحويله إلى كَمٍّ)، وعلى القضاء على الجُيُوب الإثنيَّة واللغوية حتَّى يُمكن التحكُّم في الواقع وتوظيفه، وعلى تشييد البنية التحتيَّة القادرة على تحقيق كلِّ الأهداف التي تتمُّ في المجالين المادِّي والبشري. أمَّا في المجال المادي، فيتمُّ توحيد سوق المدينة ("**أسواق الفلاح**" في الجزائر مثلا) وتشييد شبكات الطرقات وتنميط المقاييس في البناء والعمران، أمَّا في المجال البشري فيتمُّ تأسيسُ بيروقراطيَّات مركزيَّة متخصِّصة توجِّه الفرد (الحزب الواحد، القسمات، الشُّعَب، المناضلون...إلخ) حتَّى يصبح مواطنًا ينسى ولاءاته القديمة ولا يدين بالولاء إلاَّ لأجهزة الدولة فحسب، [وهو ما يؤدِّي] إلى إنهاء حيويَّة المجتمع وتحويله إلى آلة كبيرة رشيدة محكومة الحركة، تتَّبع القوانين العامَّة والمخططات المركزية[1].

لقد تفطَّن الشعراء الميزابيون إلى هذه المسألة الخطيرة؛ أي ربط التحيُّز للوطن بالتحيُّز للدولة/السلطة، أو ربط الهويَّة بالكيان السياسي، وما تمخَّض عنه من مزيدات في الوطنيَّة بين الجزائريين، فنُظمت القصائد في تأكيد المعنى الحقيقي للوطنيَّة المرتبط بمرجعية الأمَّة النهائيَّة في ظل الوحدة التشاركية الفضفاضة، وترفُّعها عن الأيديولوجيات الوافدة أو المستوردة. فهذا محمد ناصر يبرزُ لإخوانه الجزائريين مرجعيَّتهم النهائيَّة التي تجعل حبَّهم لوطنهم لا يتعارض ولا يتصادم واحترام الخصوصيات وتقدير الحق في الانتماء، فعندما يُدرك الشعب الجزائريُّ هذا فلن تنطلي عليه مكائدُ التفرقة السياسيَّة أو الدعوات العنصريَّة والنعرات الطائفيَّة، يقول في قصيدة بعنوان مُعبِّرٍ دقيق «**أحبك في الله يا أخي في الله**»:

(...) وأشعلُوهَا خِلاَفَاتٍ مُؤَجَّجةً — «ومُعظمُ النَّارِ منْ مُسْتصْغرِ الشَّررِ»

1)– ينظر آليات سيطرة الدولة المركزية على المجتمعات الحديثة، المسيري: «**إشكالية التحيُّز**»، ص68.

المنارة للاستشارات

وقَسَّمونَا دَوَاوِيرًا مُشَتَّتةً ودارةُ الدِّينِ حِضْنٌ غيْرُ مُنْشطِرِ
فإنْ يَقُولُوا: «أعارِيبًا، بَرابِرةً» نقُولُ: «والدِّينُ فوقَ الجنسِ والصُّورِ»
... وصِبغَةُ اللهِ أغْنتْ عنْ مُسَاومَةٍ بالجِنسِ، والعِرْقِ، والأنْسابِ، والفِكرِ
بالحُبِّ وحَّدنَا التَّوحِيدُ من أزلٍ فليْس نُقسَمُ في عُسْرٍ ولا يُسُرِ
أقْسمْتُ باللهِ، لنْ أنْفكَّ عنْ قَسَمِي أُخوَّةُ الدِّينِ دُستُورِي مَدَى العُمُرِ[1]

ونختم مطلب التحيُّز إلى الوطن بهذه الصورة الرائعة التي ناجى فيها الشاعر محبوبته "الجزائر"، هذه الغادة الحسناء التي غلا مهرُها، فدفع فيها الجزائريُّون دم مليون ونصف مليون من الشهداء، نكتشف في هذه الأبيات الأساس المعرفيَّ العميق الذي أقام الشاعر عليه تحيُّزه لوطنه، والمرجعية النهائية الإسلاميَّة التي بنى عليها هذا التحيُّز؛ تحيُّزٌ لا يتأثَّر بتغيُّر السياسات ولا يتلوَّن بتبدُّل الأيديولوجيات، يقول محمد ناصر في قصيدة «**الوردة البيضاء**»:

عشِقْتُكِ عِشقًا قد سَرَى منكِ في دَمِي فأنتِ بِقلْبي ما حَيِيتُ وفي عَيْنِي
عَشِقتُكِ فوقَ الاسْمِ، والفعْلِ، واللُّغَى عَشِقتَكِ فوقَ الشِّعْرِ، والرسْمِ، والفنِّ
عشقتك لا أبغي سواكِ ومن يذُق هواكِ، يذُق سِرَّ التعلُّق بالوطْنِ
يُعاديكِ شيطانٌ، ويجفوكِ خائنٌ، ويرميكِ أفَّاكٌ، وتدْرِين من أعْنِي
(...) أُقَدِّسُ فيكِ الطُّهرَ جلَّله التُّقَى وأعشقُ فيكِ العزَّ يَشْمَخُ لا يُحْنِي
وأعبُدُ فيكِ السَّمْتَ وجهاً تَحُفُّهُ مَهابةُ نور اللهِ في وَحْشةِ الدَّجْنِ
وأُكبِرُ فيكِ المُحْصَنَاتِ، على الهُدى صمَدْن (سُمَيَّاتٍ) وصابرْن للطعْنِ
(...) أحبُّكِ نورًا هادئًا يملأُ الدُّنى بنورِ كتابِ اللهِ يُشْرق بالأمْنِ
أحبُّك مهما صَدَّني عنكِ حاجزٌ وأبغيكِ رغم القَهْرِ، والهَجْرِ، والضَّنِّ[2]

التحيُّز للأمَّة (العربيَّة الإسلاميَّة): لقد وضَّح القرآنُ الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين مفهوم الأمَّة وروابطها في قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ**

1)–ناصر: «**في رحاب الله**»، ص: 80.
2)–ناصر: «**ألحان وأشجان**»، ص: 53.

المنارة للاستشارات

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﷻ)(آل عمران: ١١٠)، وإذا تأمَّلنا دلالات لفظ الأمة في القرآن فإنَّنا سنلاحظ أنَّها تدور في حقل دلاليٍّ يفيد اتِّفاق جماعة ما على قيم أو عناصر مشتركة، سواء أكانت متوارثة أم اعتقاديَّة اختياريَّة. وإذا بحثنا في مفهوم الأمَّة العربيَّة الإسلاميَّة وجدناه مفهومًا مركَّبا يؤكِّد ارتباط العنصرين، فإطلاق لفظة الأمَّة مقصورة على العرب دون المسلمين هو انحرافٌ عن الحقِّ مهما كانتنيَّته حسنةً. ذلك أنَّ العرب لم يكونوا أمَّة (بالمعنى العصريِّ للكلمة على الأقل) لا قبل الإسلام ولا بعده، وأنَّ الفضل الذي لحق بالعرب فنشر لُغتهم في أصقاع الأرض لم يكن ليأتيَهم لولا الإسلام، وهذه حقيقةٌ لا يُنكرها إلاَّ جاهل بالتاريخ أو مُكابر. وعندما انحسر الشعورُ بالانتماء الإسلاميِّ في أواخر الدولة العثمانيَّة واقتسم الغربُ الاستعماريُّ بلاد المسلمين وقسَّمها إلى أقاليم تقطعت أوصالها، وحين استقلَّت عن الاستعمار ظلَّت متقطِّعة إلى يومنا هذا، ولم تنجح «**القومية العربية**» في لم شملها مرَّة أخرى تحت أية مظلَّة كما فعل الإسلام على مدى أكثر من ألف عام.

فالشعورُ بالانتماء إلى الأمَّة العربيَّة الإسلاميَّة يعدُّ مقوِّما من مقوِّمات الهويَّة للإنسان العربي، وحتَّى بالنسبة للعرب غير المسلمين الذين يعيشون في الوطن العربي؛ فهم أبناءُ الحضارة الإسلامية كذلك، وجزءٌ من الأمَّة الإسلاميَّة، فالإسلام هو المرجعيَّة النهائية للمسلمين باعتباره دينَهُم الذي يَحيَون به، وهو بالنسبة إلى غير المسلمين مرجعيَّة الحضارة التي ينتمون إليها وتميِّز بلادَهم، وفي ظلالها أبدع مفكروهم وعلماؤهم وقادتهم، وبلُغتها نطق وُعَّاظهم وقدِّيسُوهم، ولهم بدورهم في كلِّ إنجازاتها دورٌ مشهود وجهد غير منكور[1]، كما أنَّ الربط بين الأمَّة العربيَّة والإسلامية يقرُّه المفكرون العرب المسيحيون أنفسهم، كما يقول المفكر السوري القومي "ميشيل عفلق": «**لا يوجد عربيٌّ غير مسلم، فالإسلام هو تاريخُنا، وهو بطولتُنا، وهو لغتُنا وفلسفتُنا**

1)–حرفي: « **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري(3) الهويَّة والحركية الإسلامية**»، ص: 99.

المنارة للاستشارات

ونظرتُنا إلى الكون... ولئن كان عجبي شديداً للمسلم الذي لا يحبُّ العرب فعجبي أشدُّ للعربي الذي لا يحب الإسلام!» [1].

وإذا عُدنا إلى مدوَّنتنا الشعرية، فإنَّنا نجد أنَّ النصوص التي تُعنى بمسألة الأمَّة حاضرة بقوة في الدواوين العشرة جميعها[2]، فنجدها تركِّز على ترسيخ الانتماء للأمَّة، أو تستعرض آلامها وآمالها من أجل الصحوة والنهضة. ولقد تفاعَلَ شعراءُ المدوَّنة مع قضايا الأمَّة مشرقاً ومغربًا، خاصَّة عندما تنزل بالأمَّة النكبات، وتتعرَّض للعدوان والانتهاكات، ولكننا نجد أنَّ المحور المهيمن والمشترك الذي التفَّ حوله الشعراءُ جميعًا وخلَّدوا فيه قصائدهم هو قضيَّة الإنسانيَّة جميعًا، وقضية كلِّ أحرار العالم: «**القضية الفلسطينية**» والاحتلال الصهيوني، التي لم يخلُ أيُّ ديوان من حضورها.

يقول الشاعر محمد ناصر مبيِّنا تحيُّزه وولاءه إلى هذه الأمَّة، ومُبرزًا المرجعيَّة النهائيَّة التي على أساسها تتوحَّد صفوف أبنائها وتتآلف قلوبُهم:

عهدُنا مصحفٌ، وأرضُ جدودٍ	ووفاءٌ، وذمَّةٌ ومصيرُ
فأخي في الكتاب أفديه حقًّا	ما اهتدى بالكتابِ شهمٌ غيورُ
(...) ضلَّ من يزرَع الضغينة	بدعَاوى نهيقُها منكورُ
كيف تبقى عداوةٌ وصليبُ الـ	ـكُفر عاتٍ على البلادِ جهيرُ
كيف تَحيَى ولليهودِ أفاعٍ	تنفثُ السُّمَّ شرُّها مُستطِيرُ
أمَّةُ الوحيِ أمَّتِي واختيارُ اللهِ	عدلٌ لنَا وليٌّ نَصيرُ

1)– ميشيل عفلق: «**في سبيل البعث، الكتابات السياسية الكاملة للقائد المؤسس الرفيق ميشيل عفلق**»، حزب البعث العربي الاشتراكي، القيادة القومية، مكتب الثقافة والإعلام القومي، بغداد، العراق، (د.ت.ن)، ج3، ص68.

2)–ينظر على سبيل المثال: خريف: «**من أعماق الصحراء**»، ص، ص: 70، 104، 106، 123، 124، 137. باجو: «**لبيك يا وطني**»، ص، ص: 16، 45، 61، 66، 77، 110، 168. دواق: «**أنغام الوفاء**»، ص، ص: 95، 101، 107، 111، 115، 117، 121، 125، 127، 131، 133. هيبة: «**قلب وحجر**»، ص، ص:15، 80، 186، 188، 193، 197، 200.

المنارة للاستشارات

فليمُت «مِحْوَرُ الشرِّ»[1] غيظًا ... وليَمُت نهيقُهُم والحميرُ!
وإذا لجَّ في العَداوةِ عَاوٍ ... فنُبَاحُ الكلابِ ليسَ يَضيرُ[2]

ولمَّا رأى الشاعر حياد بعض الأنظمة العربيَّة عن قيم الأمَّة وعناصر وحدتها، وبدأت بوادر التشظّي والتشرذم باسم المصالح الاقتصاديَّة والسياسيَّة، وغياب المرجعية النهائية العربية الإسلامية التي على أساسها تتحدَّد هويَّة الأمَّة، صدع بالحق فنظم سنة 2002 قصيدة بعنوان «**شهداء الأقصى**» إبَّان انتفاضة الأقصى الثانية، قال فيها:

(...) إيهِ يا أمَّتِي وفي الآي نورٌ ... لطريق الهُدَى أضاءَ انْتِشَارَا
قولُه الفصْلُ، فاليهودُ يهودٌ ... خَيْبرَيون، والنصارَى نصَارَى
من يُوَاليهم، ففي الحكْمِ مِنْهم ... هكذَا قرَّرَ الكتابُ قَرَارَا
فدعِي (أمْنَهُم) [3]، أيُؤْمَنُ ذئبٌ ... وهْو يَسْطو على الديار جِهَارَا
ودعي (بُوشَهُم) ففي الحقدِ أعْمَى ... إنَّ للكُفْرِ ملَّةً لا تُدَارَى
ليس للخانِعينَ سورٌ فَيُخْشَى ... من يَهُنْ يَلْبس الهَوَانَ شِعَارَا
فدعُوا (غُمَّةً)[4] تُدَبِّجُ شَكْوى ... تُجْهِضُ النصرَ، تَقْتُل الأنْصَارَا
كلَّما لاحَ للجهادِ (صَلاَحٌ) ... كَسَرُوا سَيْفَه جِهارًا نهَارَا
قد طوينَا خمسينَ ذُلاً وسِلْمًا ... فلنخُضْ خُمْسَها فِدَاءً وثَارَا

الأمَّة العربية ومرجعيتها النهائيَّة: تحدثنا أكثر من مرَّة عن «**المرجعيَّة النهائيَّة**»، ونقصد بها الأساسَ الفلسفيَّ والمعرفيَّ الذي يستند إليه العقد الاجتماعيُّ الذي يدور أيُّ مجتمع في إطاره؛ فلكلِّ أمَّة أو مجتمع عقدٌ اجتماعيٌّ، وكلُّ عقد يستند إلى مجموعة من المقولات القبلية التي تُستمد من نسق حضاري وقيمي وأخلاقي فوق المادَّة والطبيعة؛

1)– إشارة على تصنيف الرئيس الأمريكي جورج بوش سنة 2002 دولاً بأنها تمثِّل «محور الشر» (يقصد: العراق، وإيران، وكوريا الشمالية) تمهيدًا لبدأ ما يسمى بالحرب ضدَّ الإرهاب، والشاعر يرى أنَّ أمريكا والصهاينة وحلفاؤهم هم الذين يمثلون «محور الشرِّ» والسبب في كل المآسي العالمية.

2)– ناصر: «**الخافق الصادق**»، ص: 88، 89.

3)– يقصد مجلس الأمن الدولي.

4)– يقصد «قمَّة» الجامعة العربية.

المنارة للاستشارات

فالإنسانُ كما يصفه المفكِّر والرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش بأنه (**كائن ميتافيزيقي**)[1]، وعلى هذا الأساس فإنه لا يمكن لأيِّ جماعة أو دولة أو أمَّة أن تحدِّد توجهاتها وأولوياتها من دون تحديد المرجعية النهائية، وما لم تحدِّد الأمَّة مرجعيَّتها النهائيَّة فإنَّها ستتبنَّى مرجعيَّة الآخر النهائيَّة بوعي منها أو بغير وعي، وستُرتِّب الأمَّة أولويَّاتها وتوجُّهاتها بحسب أولويات الآخر وتوجُّهاته، وليس بحسب وعيه وإدراكه وتجربته وواقعه.

فالمرجعيَّة النهائيَّة للأمَّة العربيَّة الإسلاميَّة هي التي تحدِّد الصديق والعدوَّ، وبالتالي التحيُّز إلى هذا أو ذلك يكون على أساس هذه المرجعيَّة الثابتة، وليس على أساس المصالح الاقتصاديَّة أو السياسيَّة الآنيَّة المتبدِّلة.

عبَّر الشاعر محمد ناصر عن هذه المعضلة بقوله مخاطبا أمَّته في شخوص أفرادها: «**ودعي ساسةً يسوسهم الدولار للموبقات أسرى سكارى**»؛ تعبيرٌ صريحٌ عن تجاهل هذه الأنظمة للمرجعيَّة النهائية للأمَّة، وتبنِّيهم البراجماتي النفعي المادي العدمي لما سماه المسيري «**داروينية الضعفاء**»، بحيث أصبح همُّ نُخبنا الحاكمة هو كيفية «التكيُّف مع واقع الهزيمة الذي نعيشه، ومن هنا الهرولةُ نحو إسرائيل والولايات المتحدة ... أي الهرولةُ نحو الأقوياء والمنتصرين»[2].

نظم محمد ناصر قصيدة في اليوم الثامن والثلاثين من القصف الهمجيِّ الذي تعرَّضت له مدُن العراق فيما يعرف «**بعاصفة الصحراء**» أو «**حرب الخليج الثانية**» سنة 1991. والقصيدة هي رسالة من جيل الآباء إلى جيل الأبناء، أو بالأحرى «**رسالة من جيل الكهول إلى الجيل الصاعد**» كما عبَّر الشاعر، رسالةُ تركيزٍ للهويَّة، وتبيينٍ للمرجعيَّة

1)– ينظر، كذلك مصطلح «الدوار الميتافيزيقي» عند علي عزَّت بيجوفيتش: «**الإسلام بين الشرق والغرب**»، تر/ محمد يوسف عدس، نشر مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات، ميونيخ، ألمانيا، ط2، 1997م، ص:66

2)– سوزان حرفي (تحرير): «**حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري (2): العلمانية والحداثة والعولمة**»، دار الفكر دمشق، سوريا، ط3، 1433هـ/ 2012م، ص:100

المنارة للاستشارات

النهائيَّة التي على نورها تنكشفُ ظلماتُ هذا العصر الكئيب، وعلى نهجها يُدرِكُ الناشئةُ عدوَّ الأمَّة الحقيقي، رسالةٌ مؤلمةٌ يضع فيها الشاعرُ إصبعه على جرح الأمَّة ليُطهِّره، ثم ليصف أحسن دواء لعلاجه.. وإذا عَرَف الخلفُ سببَ النكبات والأزمات، أمكن إيجادُ الحلول، وتيَّسرت النهضة، وتم تصحيحُ الأوضاع. فممَّا جاء في قصيدته المسماة: «**رسالة متأزمة إلى ولدي**[1]»:

(...) صُهْيونُ أصْلُ الكَيْدِ يا ولدِي، ولنْ ينفكَّ كيدُهُمُ إلى يومِ الحسابْ
هذا عدوُّك؛ واسألِ التَّاريخَ، لا تغرُرْك أحْلافٌ تُلوِّح بالكتَابْ
هذا عدوُّك؛ هكذا حكَمَ الكِتَاب، في قول ربِّك وحدَهُ فصلُ الخطابْ
لا تغْتَرِرْ بمشايخ البتْرُولِ لو حجُّوا مئاتٍبعْدَ أنْ بَاعُوا التُّرَابْ[1]
(...) فاربأ بنَفسِكَ أن تكونَ كَجَيلِنا نبنِي الكلامَ وغَيرُنا يَبنِي العُجَابْ
واحذرهمُ أن يَفتِنُوكَ بخُلَّبٍ للغربِ، إنَّ الغربَ كفرٌ واستلابْ
(...) فخُذِ الكتابَ بقُوَّةٍ، وخُضِ الحياةَ مُدَجَّجًا بالعلمِ تمتَلِكِ السَّحابْ[2]

الخاتمة –

في ختام هذه الدراسة التي حاولنا فيها استعراض دوائر الانتماء التي تنتظم فيها هويَّة بعض الشعراء الميزابيِّين، وتلمَّسنا من خلال الدراسة تحيُّزات هؤلاء الشعراء المعرفيَّة ومرجعيَّاتها النهائيَّة، أمكن أن نسجِّل في الختام النتائج التالية:

- إنَّ قضايا الهويَّة والتحيُّز تستبدُّ اليوم بالهموم النظرية والعمليَّة، ويعاد طرح سؤال الهويَّة كلَّما تعرَّضت الأمم والمجتمعات للهزَّات والاختبارات،وأنَّ التحيُّز في الأساس أمرٌ حتميٌّ مرتبطٌ بإنسانيَّة الإنسان وببُنية عقله المبدع، مرتبطٌ باللغة الإنسانيَّة التي يدرك بها الإنسانُ الوجود، فاللُّغة الإنسانية في ذاتها متحيِّزة وغير

1)–من أجل هذا البيت منعت وزارة الإعلام في إحدى دول الخليج نشرَ هذا الديوان في ترابها.
2)–نلاحظ بوضوح التَّناص مع القرآن الكريم في هذا البيت الأخير، وكان ولد الدكتور اسمه بالفعل «يحيى».

المنارة للاستشارات

محايدة. ومن يحاول إلغاء التحيُّز أو يدَّعي إنكار وجوده فإنَّه واقع لا محالة في تحيُّز من نوعٍ ما إلى رؤية معرفيَّة ما.

- التحيُّز المحمود الإيجابيُّ هو التحيُّزالمعرفيُّ؛ هو تحيُّزُ الذات المتسائلة التي تناقش قناعاتها بصفة دائمة ولا تركن إلاَّ لما يستطيع الإجابة الدائمة عن الأسئلة المطروحة والتساؤلات المستجِدَّة، أمَّا التحيُّز المذموم فهو تحيُّز أيديولوجي موسوم بالطابع السِّجالي والنهج المؤامراتي في التفكير؛ فعينُه دائمًا على الآخر عدوًا ومتآمرًا شريرًا.

- يمثِّل شعراء العيِّنة المدروسة جُلَّ قرى وادي ميزاب، وتمَّ اختيارُهم على أساس تقاطُع دوائر الانتماء، ولاحظنا أنهم جميعًا من «الأمازيغ الميزابيين»، ولكنهم سجلوا تحيُّزهم المعرفيَّ الواعي إلى دائرة اللغة العربيَّة، فلم نجد لأي واحد منهم ديوانًا بغير الفصحى، ولا قصيدة واحدة في دواوين الدراسة العشرة بغير الفصحى.

- إنَّ أسمى أنواع التحيُّز التي سجَّلناها لشعراء العيِّنة المدروسة هو **التحيُّز إلى الحقِّ**، ويمثِّل الحقُّ أعلى معاني التحيُّز الأخلاقي المتعالي، التحيُّز للحقِّ هو ما يمكن تسميتُه أدبيًّا بالالتزام (Commitment)، بينما نجد تسميةً أدقّ وأقرب إلى محيطنا المعرفيِّ العربيِّ الإسلاميِّ وهي «**الإخلاص**»، فالإخلاصُ تحيُّزٌ إلى نموذجٍ معرفيٍّ كليٍّ عالميٍّ كونيٍّ حضاريٍّ؛ يردُّ المرء بمقتضاه كلَّ قول أو فعل، وكلَّ حركة أو سكون، إلى غاية مرجعيَّة نهائية هي «**ابتغاءرضوان الله تعالى**».

- البحث عن الحقيقة المرجعية النهائية قادت هؤلاء الشعراء إلى التحيُّز إلى دين الإسلام، فالإسلام هو أهم وأبرز مكون للهويَّة العربية والجزائرية، فالإسلام جاء بقيم الحق والعدل والأخوة والسلام وهي القيم التي دفعت الأمازيغ إلى اعتناق الإسلام في القديم، وتمسكهم إلى اليوم بتعاليمه، لذلك كان تحيزهم إلى دائرة الانتماء الإسلاميَّة على حساب دوائر الانتماء الجنسيَّة والعرقية والجغرافية.

- شعراء العيِّنة المدروسة ينتمون إلى المذهب الإباضي، وبالرغم من أن نسبة هؤلاء في الجزائر تقل بكثير عن 1٪ إلا أن هؤلاء الشعراء قد سجلوا تحيُّزهم إلى مذهبهم الفقهي باعتباره مظهرا من مظاهر الإسلام، فلا إسلام بلا مذاهب، ولكن تحيُّزهم

المنارة للاستشارات

"**الجزئي**" إلى الخصوصية المذهبية كان عن وعي عميق بأهمية نبذ الفراق والتفطُّن لمكائد المفتنين والمفرقين بين أبناء الأمة الواحدة.

- سجلنا تحيُّز شعراء المدونة الواضح للغة العربية الفصحى على حساب لغتهم الأم التي هي الأمازيغية الميزابيَّة، وهذا التحيُّز المعرفي الجزئيُّ نابعٌ وتابع لتحيُّزهم الأول إلى الدين الإسلامي، ولقد اكتست الفصحى لديهم هالة قدسيَّة مقتبسة من قداسة القرآن نفسه، فتمسُّكهم بها لم يكن أمرا طارئا بنزعة قومية عروبية مثلا، بل من تمسُّكهم بتعاليم الإسلام، وهذا "**تحيُّز معرفيٌّ**" قائم على إدراك عميق للمرجعية النهائية للهويَّة. ولقد تنبَّه شعراء العينة وحذَّروا من مسألة خطيرة يعاني منها بعض الجزائريين والعرب وهي «**التحيُّز ضدَّ الفصحى**»، وهو في الحقيقة مظهر من مظاهر «**التحيُّز ضدَّ الذات**» له عواقب وخيمة وكارثية على استقرار الأمم والثقافات.
- عبَّر الشعراء الميزابيون عن تحيُّزهم للوطن الجزائر لا باعتباره فضاءً جغرافيًّا، ولا باعتباره إقليمًا تحدُّه الحدود شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا، بل باعتباره مجموعًا من قيم ومشاعر وتاريخ مشترك الذي يربط الإنسان بأخيه الإنسان في هذه الأرض. والشعور بالوطنية لديهم يعود إلى ما قبل تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، فقد أسس أجدادهم الدولة الرستمية في تاهرت وكانت أول دولة وطنية في تاريخ الجزائر، فبهذا البعد تكتسي الوطنية لديهم بعدا تاريخيا عميقا مرتبطا بكل ما يحمله تاريخ الجزائر العريق من أصالة وانتماء.
- الوطنية (أو التحيُّز للوطن) عند شعراء العينة تحيُّز متسامِعن الأيديولوجيا، والتحيُّز للوطن لديهم لا يعني التحيُّز للدولة، فالتحيُّز للدولة كما أثبتت الدراسة يهدف إلى زعزعة ولاء المواطن لأيِّ جهة غير السلطة الحاكمة أو الدولة المركزية، فتقضي على كلِّ الفروقات الإثنية واللغوية والخصوصيات الثقافية، لتظل الدولة المركزية هي المسيطرة على كل شيء، ورأينا أنَّ هذا من بين مفرزات التحيُّز إلى النموذج المعرفي الغربي **ضدَّ الهويَّة وضدَّ الذات**.
- الانتماء إلى دائرة الأمة العربية الإسلامية هو من بين دوائر الهويَّة التي تحيَّز إليها شعراء العيِّنة، فكان الألم العربي حاضرًا بقوة في جميع المدوَّنات. ولقد كانت

المنارة للاستشارات

المرجعية النهائية حاضرة مرَّة أخرى في هذا المجال لتحدِّد للشعراء الصديق من العدو، وبالتالي فإنَّ تحيُّزهم إلى هذا أو ذلك يكون على أساس هذه المرجعيَّة الثابتة، وليس على أساس المصالح الاقتصاديَّة أو السياسيَّة الآنيَّة المتبدِّلة، كما يحدث في بعض الدول العربية هذه الأيام.

ملحق: مخطط مكونات الهويَّة والتحيُّزات المعرفية للشعراء الميزابيين 1985- 2015:

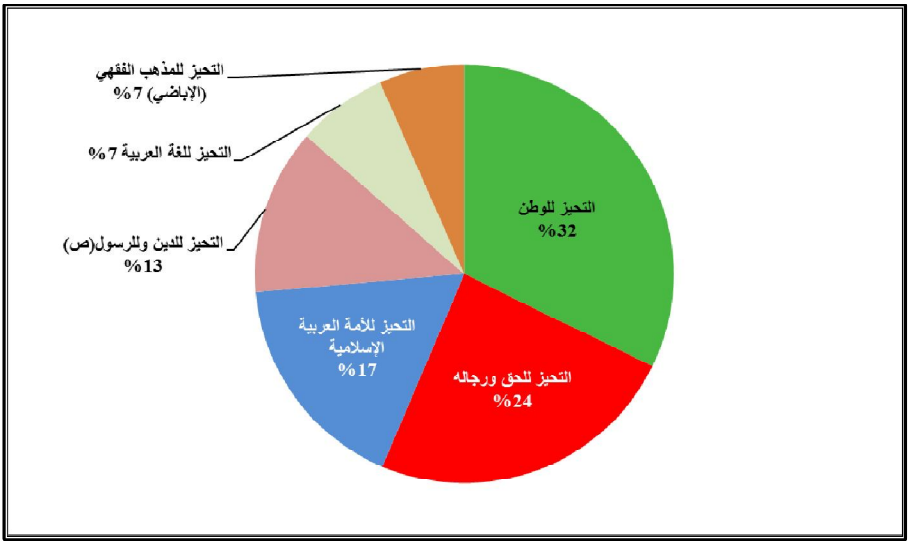

فهرس المصادر والمراجع

❖- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

أولا: المصادر:

1- باحمد بن عمر هيبة: «**قلبٌ وحجر**»، (د.د.ن)، طبع المطبعة العربية، غرداية الجزائر، 2006م

2- سليمان بن عمر دواق: «**أنغام الوفاء**»، نشر مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، ط1، 2004م

3- صالح بن إبراهيم باجو: «**ديوان أبي عمر الجزائري: لبيك يا وطني**»، نشر جمعية التراث، الجزائر، ط1، 2009م

4- صالح خرفي: «**من أعماق الصحراء**»، (د.د.ن)، أشرفت على طبعه وإخراجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، نوفمبر 1991م

5- محمد صالح ناصر: «**الأعمال الشعرية الكاملة**»، نشر دار الريام للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2010م

6- ---: «**البراعم الندية**»، نشر مكتبة الريام للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1427هـ/ 2006م

المنارة للاستشارات

7- ـــ : «**ألحان وأشجان**»، نشر جمعية التراث، القراة، غرداية، الجزائر، 1416هـ/ 1995م

8- ـ ـ ـ : «**الخافق الصادق**»، نشر دار الريام للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م

9- ـــ : «**في رحاب الله**»، (د.د.ن)، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط1991،1م

10- مسعود بن بالحاج خرازي: «**متى الصبح يا وطني**»، (د.د.ن)، طبع المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط1، 2006م

ثانيا: المراجع

11- أبو حامد الغزالي، «**إحياء علوم الدين**»، تق/ بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة "كرياطه فوترا" سماراغ، أندونيسيا، (د.ط)، (د.ت.ن)

12- أحمد بن نعمان: «**الوحدة الوطنية في وحدة الهويَّة**»، نشر دار النعمان للطباعة والنشر، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2014م.

13- أمين معلوف: «**الهويَّات القاتلة**»، تر/ نهلة بيضون، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، أوت 2015م.

14- خريف، صالح: «**في رحاب المغرب العربي**»، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

15- سوزان حريف (تحرير): «**حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري (1): الثقافة والمنهج**»، دار الفكر دمشق، سوريا، ط3، 1433هـ/ 2012م.

16- سوزان حريف (تحرير): «**حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري (2): العلمانية والحداثة والعولمة**»، دار الفكر دمشق، سوريا، ط3، 1433هـ/ 2012م.

17- سوزان حريف (تحرير): «**حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري (3): الهويَّة والحركية الإسلامية**»، دار الفكر دمشق، سوريا، ط3، 1433هـ/ 2012م.

18- الشريف الجرجاني: «**التعريفات**» دار عالم الكتب، بيروت، لبنان،ط1، 1407 هـ/1987م.

19- عبد الحميد بن باديس: «**آثار ابن باديس**»، إعداد وتصنيف: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، ط1، 1388هـ/ 1968م.

20- علي عزَّت بيجوفيتش: «**الإسلام بين الشرق والغرب**»، تر/ محمد يوسف عدس، نشر مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات، ميونيخ، ألمانيا، ط2، 1997م.

21- مجموعة من الباحثين، «**معجم مصطلحات الإباضية**»، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 2008م.

22- محمد الهادي الحسني: «**أشعَّة الشروق اليومي**»، شركة دار الأمَّة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005م.

23- محمد حسين فضل الله: «**الندوة، سلسلة ندوات الحوار الأسبوعية بدمشق،**

المنارة للاستشارات

محاضرات ومطارحات في العقيدة والتربية والفقه والسيرة»، إعداد عادل القاضي، نشر دار الملاك، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 1999م.

24- محمد صالح ناصر: «**مشايخي كما عرفتهم**»، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1334هـ/ 2013م.

25- ---: «**مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة**»، نشر جمعية التراث، العطف، غرداية، ط2، 1989م.

26- محمد عمارة: «**مخاطر العولمة على الهويَّة الثقافية**»، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1999م.

27- محمود سمير المنير:«**العولمة وعالم بلا هويَّة**»، دار الكلمة للنشر والتوزيع،المنصورة، مصر، ط1، 1421/2000م.

28- مفدي زكرياء: «**اللهب المقدس**»، نشر وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ط2، 1973م.

29- ---: «**إلياذة الجزائر**»، إعداد وتوثيق وتقديم الدّكتور محمدعيسى وموسى، نشر مؤسَّسة مفدي زكريَّاء، الجزائر، 2006م.

30- ميشيل عفلق: «**في سبيل البعث، الكتابات السياسية الكاملة للقائد المؤسس الرفيق ميشيل عفلق**»، حزب البعث العربي الاشتراكي، القيادة القومية، مكتب الثقافة والإعلام القومي، بغداد، العراق، (د.ت.ن).

31- نورالدين السالمي: «**العقد الثمين**»، تح/ سالم بن حمد الحارثي،دار الشعب، القاهرة، مصر، (د. ت.ن).

ثالثا: المقالات الورقية والرقمية:

32- «**بيان أول نوفمبر**» ضمن النصوص المؤسسة للجمهورية الجزائرية، في موقع رئاسة الجمهورية على الأنترنت:
http://www.el-mouradia.dz/arabe/symbole/textes/symbolear.htm
(تاريخ الزيارة: 02 جوان 2016)

33- جاسم المطير: «**نظرية الهويَّة الاجتماعية في تكوين الحزب الشيوعي**». منشور بتاريخ: الخميس 09 نيسان/ أبريل 2015، ينظر الرابط:
(http://www.iraqicp.com/index.php/sections/platform/27165-2015-04-09-14-09-50)
(تاريخ الزيارة: 02 جوان 2016)

34- محمد ناصر بوحجام: «**الهويَّة في شعر مفدي زكرياء**»، مجلّة الحياة، نشر جمعية التراث، غرداية، الجزائر، ع/12، رمضان 1429هـ/ أكتوبر 2008م.

المنارة للاستشارات